الرُّبع الأول : رُبع العبادات

فمن أقسام الربع الأول :

كتاب العلم وفضله وما يتعلق به

قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون** ﴾(١) . وقال ــ تعالى ــ: ﴿ **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾(٢) . قال ابن عباس : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام ، وقال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ من عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾(٣) . وفى « الصحيحين » من حديث معاوية بن أبى سفيان ــ رضى الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يقول : « **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين** »(٤)

وعن أبى أمامة ــ رضى الله عنه ــ قال : ذكر لرسول الله ــ ﷺ ــ رجلان : أحدهما : عابد ، والآخر : عالم ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم** » ، ثم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **إن الله وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير** » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح(٥) .

وفى حديث آخر : « **فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر** »(٦) . وعن صفوان بن عسال ــ رضى الله عنه ــ، أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رِضًى بما يطلب** » رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه(٧) . قال الخطابى : فى معنى وضعها أجنحتها ثلاث أقوال : *أحدها : أنه بسط الأجنحة* . ***الثانى*** : أنه بمعنى التواضع تعظيماً لطالب العلم . ***الثالث*** : أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران . وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **من سلك طريقاً يلتمس**

---

(١) الزمر : ٩ .   (٢) المجادلة : ١١   (٣) فاطر : ٢٨ .

(٤) رواه البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب « العلم قبل القول والعمل » ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب « الإمارة » رقم [١٧٥] ، المسند [٣٠٦/١ ، ٢٣٤/٢ ، ٩٢/٤ ، ٩٣] .

(٥) رواه الترمذى فى صحيحه كتاب العلم باب « فضل العلم على العبادة » ، ابن ماجه فى المقدمة باب [١٧ ، ٢٠] ، المسند [١٩٦/٥] .

(٦) رواه الترمذى فى العلم باب « فضل العلم على العبادة » وأبو داود فى سننه كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ، المسند [١٩٦/٥] .   (٧) رواه الإمام أحمد فى مسنده [٢٣٩/٤ ــ ٢٤١ ، ١٩٦/٥] .

فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم[1] وروى عنه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : **من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام ، كان بينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة »**[2] ، وفيه أخبار كثيرة . وكان بعض الحكماء يقول : ليت شعرى ، أى شيء أدرك من فاته العلم ، وأي شيء فات من أدرك العلم .

ومن فضائل التعليم ما أخرجاه فى « الصحيحين » عن سهل بن سعد ــ رضى الله عنه ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال لعلى رضى الله عنه ــ: **« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم »**[3] .

وقال ابن عباس : « إن الذى يعلم الناس الخير تستغفر له كل دابة حتى الحوت فى البحر » . وروى نحو ذلك فى حديث مرفوع إلى النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ[4] .

فإن قيل : ما وجه استغفار الحوت للمعلم ؟ فالجواب : أن نفع العلم يعم كل شيء حتى الحوت ، فإن العلماء عرفوا بالعلم ما يحل ويحرم ، وأوصوا بالإحسان إلى كل شيء حتى إلى المذبوح والحوت، فألهم الله ــ تعالى ــ الكل الاستغفار لهم جزاءً لحسن صنيعهم . وعن أبى موسى ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: **« إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ**[*] **والعشب الكثير ، وكان منها أجادب**[**] **أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هى قيعان**[5] **لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه الله بما بعثنى به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »** أخرجاه فى « الصحيحين »[6] .

فانظر ــ رحمك الله ــ إلى هذا الحديث ما أوقعه على الخلق ، فإن الفقهاء أولي الفهم ، كمثل البقاع التى قبلت الماء فأنبتت الكلأ ، لأنهم علموا وفهموا، وفرّعوا وعلّموا . وغاية

---

(١) ورواه أبو داود فى العلم باب ١ ، البخارى فى العلم باب « العلم قبل العمل » ، الترمذى [٦٤/١١] .

(٢) رواه الدارمى فى الجهاد باب ١٩ [١٠٠/١] ، وابن السنى فى « رياضة المتعلمين » من حديث الحسن قيل : هو الحسن بن على وقيل هو الحسن بن يسار البصرى ، فيكون مرسلاً .

(٣) فتح البارى بشرح البخارى فى كتاب الجهاد باب « فضل من أسلم على يديه رجل » رقم [٣٠٠٩] ، مسلم فى كتاب فضائل الصحابة رقم ٣٥ ، المسند [٣٨/١ ، ٣٦٣ ـ ٢١٦/٢ ـ ٢٣٨/٥ ، ٣٣٣] .

(٤) الحديث المذكور عن معاذ رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب وابن عبد البر وقال : ليس له إسناد قوى « قاله العراقى فى تخريج إحياء علوم الدين [١٢/١] » . (*) الكلأ : العشب .

(**) أجادب : جمع أجدب وهو ضد الأخصب .

(٥) واحدها قاع وهو المستوى من الأرض ، الجمع أقوع ، وأقواع ، وقيعان ، والقيعة مثل القاع ، وفى القرآن : ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ﴾ .

(٦) رواه البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب « فضل من علم وعلم » رقم [٧٩] ، ومسلم فى كتاب=

الناقلين من المحدثين الذين لم يرزقوا الفقه والفهم ، أنهم كمثل الأجادب التى حفظت الماء فانتفع بما عندهم ، وأما الذين سمعوا و لم يتعلموا و لم يحفظوا ، فهم العوام الجهلة . وقال الحسن ــ رحمه الله ــ: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم . وقال معاذ بن جبل ــ رضى الله تعالى عنه ــ : تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى « الغربة ، والمحدث فى »[1] الخلوة . وقال كعب ــ رحمه الله ــ: أوحى الله ــ تعالى ــ إلى موسى ــ عليه السلام ــ: « **أن تعلم ياموسى الخير وعلمه للناس ، فإنى منور لمعلم الخير ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم** » .

● فصل طلب العلم فريضة

قد روى عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ، عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » رواه أحمد فى « العلل »[2] . قال المصنف ــ رحمه الله ــ: اختلف الناس فى ذلك . فقال الفقهاء: هو علم الفقه ، إذ به يعرف الحلال والحرام . وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة ، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها . وقالت الصوفية : هو علم الإخلاص وآفات النفوس . وقال المتكلمون : هو علم الكلام . إلى غير ذلك من الأقوال التى ليس فيها قول مرضى ، والصحيح أنه علم معاملة العبد لربه . والمعاملة التى كلفها على ثلاثة أقسام : ١ ــ اعتقاد . ٢ ــ وفعل . ٣ ــ وترك .

فإذا بلغ الصبى ، فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معنيهما وإن لم يحصل ذلك بالنظر والدليل ؛ لأن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ اكتفى من أجلاف[*] العرب بالتصديق من غير تعلم دليل ، فذلك فرض الوقت ، ثم يجب عليه النظر والاستدلال . فإذا جاء وقت الصلاة وجب عليه تعلم الطهارة والصلاة ، فإذا عاش إلى رمضان وجب عليه تعلم الصوم ، فإن كان له مال وحال عليه الحول وجب عليه تعلم الزكاة ، وإن جاء وقت الحج وهو مستطيع وجب عليه تعلم المناسك . وأما **المتروك** : فهو يجب ما يتجدد من الأحوال ، إذ لا يجب على الأعمى تعلم ما يحرم النظر إليه ،ولاعلى الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ، فإن كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر ولبس الحرير ، وجب عليه أن يعرف تحريم ذلك .

وأما ***الاعتقادات*** : فيجب علمها بحسب الخواطر ، فإن خطر شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة ، وجب عليه تعلم ما يصل به إلى إزالة الشك . وإن كان فى بلد قد

= الفضائل رقم ١٥ ، المسند ٣٩٩/٤ . (١) سقط من المخطوط وأثبتناه من تصويب على هامشه .

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس فى المقدمة باب ١٧ . وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما . [قاله العراقى ٣/١] . (*) أعرابى جلف : أى جاف .

كثرت فيه البدع ، وجب عليه أن يتلقن الحق ، كما لو كان تاجراً فى بلد شاع فيه الربا ، وجب عليه أن يتعلم الحذر منه . وينبغى أن يتعلم الإيمان بالبعث والجنة والنار . فبان ما ذكرنا أن المراد بطلب العلم الذى هو فرض عين : ما يتعين وجوبه على الشخص . فأما ***فرض الكفاية*** : فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا ، كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان على الصحة ، والحساب فإنه ضرورى فى قسمة المواريث والوصايا وغيرها . فهذه العلوم لو خلا البلد عمن يقوم بها حَرِجَ[1] أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الباقين . ولا يتعجب من قولنا : إن الطب والحساب من فروض الكفاية ، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفاية ، كالفلاحة والحياكة ، بل الحجامة فإنه لو خلا البلد عن حجام لأسرع الهلاك إليهم ، فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله . وأما التعميق فى دقائق الحساب ، ودقائق الطب وغير ذلك ، فهذا يُعَد فضلة ، لأنه يستغنى عنه . وقد يكون بعض العلوم مباحاً ، كالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها وعلم التاريخ . وقد يكون بعضها مذموماً ، كعلم السحر ، والطلسمات ، والتلبيسات .

◉ *أقسام العلوم الشرعية :*

فأما العلوم الشرعية فكلها محمودة ، وتنقسم إلى :

١ ـ أصول ، ٢ ـ وفروع ، ٣ ـ ومقدمات ، ٤ ـ ومتممات

١ ـ **فالأصول** : كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة .

٢ ـ والفروع : ما فهم من هذه الأصول من معان تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره ، كما فهم من قوله : **«لا يقضى القاضى وهو غضبان»**[2] أنه لا يقضى جائعاً .

٣ ـ **والمقدمات** : هى التى تجرى مجرى الآلات ، كعلم النحو واللغة ، فإنهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

٤ ـ **والمتممات** : كعلم القراءات ، ومخارج الحروف ، وكالعلم بأسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم ، فهذه هى العلوم الشرعية ، وكلها محمودة .

● *فصل فى علم المعاملة*

فأما علم المعاملة وهو علم أحوال القلب ، كالخوف ، والرجاء ، والرضى والصدق ، والإخلاص وغير ذلك ، فهذا العلم ارتفع به كبار العلماء ، وبتحقيقه اشتهرت أذكارهم ، كسفيان الثورى ، وأبى حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد . وإنما انحطت رتبة المسمين

(١) الحَرَج : الإثم . (٢) المسند [٣٧/٥] ، ومسلم فى « الأقضية » رقم ١٦ ، والبخارى فى « الأحكام » باب « هل يقضى القاضى أو يفتى وهو غضبان رقم [٧١٥٨] .

بالفقهاء والعلماء عن تلك المقامات، لتشاغلهم بصور العلم من غير أخذ على النفس أن تبلغ إلى حقائقه وتعمل بخفاياه .

وأنت تجد الفقيه يتكلم فى الظهار ، واللعان، والزنى ، ويفرع التفريعات التى تمضى الدهور فيها ولا يحتاج إلى مسألة منها ، ولا يتكلم فى الإخلاص ، ولا يحذر من الرياء ، وهذا عليه فرض عين ، لأن فى إهماله هلاكه ، والأول فرض كفاية . ولو أنه سُئل عن علة ترك المناقشة للنفس فى الإخلاص والرياء لم يكن له جواب ، ولو سُئل عن علة تشاغله بمسائل اللعان والزنى ، لقال : هذا فرض كفاية ، ولقد صدق ، ولكن خفى عليه أن الحساب فرض كفاية أيضاً ، فهلا تشاغل به ، وإنما تبهرج عليه النفس ، لأن مقصودها من الرياء والسمعة يحصل بالمناظرة ، لا بالحساب . **واعلم** : أنه قد بُدِّلت ألفاظ وحرِّفَت ،ونُقِلَت إلى معان لم يردها السلف الصالح . فمن ذلك :

١ ــ *الفقه* : فإنهم تصرفوا فيه بالتخصيص ، فخصوه بمعرفة الفروع وعللها ولقد كان اسم الفقه فى العصر الأول منطلقاً على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ، ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب . ولذلك قال الحسن : إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الورع الكاف عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لهم . فكان إطلاقهم اسم الفقه على علم الآخرة أكثر ، لأنه لم يكن متناولاً للفتاوى ، ولكن كان متناولاً لذلك بطريق العموم والشمول ، فثار من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد لعلم الفتاوى الظاهرة ، والإعراض عن علم المعاملة للآخرة .

٢ ــ *اللفظ الثانى : العلم* ، فقد كان ذلك يطلق على العلم بالله ــ تعالى ــ وبآياته ، أى نعمه وأفعاله فى عباده ، فخصوه وسموا به فى الغالب المُنَاظِر فى مسائل الفقه وإن كان جاهلاً بالتفسير والأخبار .

٣ ــ *اللفظ الثالث : التوحيد* ، وقد كان ذلك إشارة إلى أن ترى الأمور كلها من الله ــ تعالى ــ رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فيثمر ذلك التوكل والرضى وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام فى الأصول ، وذلك من المنكرات عند السلف .

٤ ــ *اللفظ الرابع : التذكير والذكر* . قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1] . وقال النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا** » قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : « **مجالس الذكر** »[2] فنقلوا ذلك إلى القصص وما يحتوى عليه **اليوم** مجلس القاص من الشطح والطامات[3] . ومن تشاغل فى وعظه بذكر

(١) الذاريات : ٥٥ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الدعوات باب [٨٣] (الأسماء) عن أنس وحسّنه .

(٣) الشطح : التباعد فى القول والفعل .

قصص الأولين ، فليعلم أن أكثر ما يحكى فى ذلك لا يثبت ، كما ينقلون أن يوسف ــ عليه السلام ــ حل تكته ، وأنه رأى يعقوب عاضًّا على يده ، وأن داود جهز أوريا حتى قتل ، فمثل هذا يضر سماعه .

وأما الشطح والطامات[1] : فمن أشد ما يؤذى العوام ، لأنها تشتمل على ذكر المحبة والوصال وألم الفراق ، وعامة الحاضرين أجلاف ، بواطنهم محشوة بالشهوات وحب الصور ، فلا يحرك ذلك من قلوبهم إلا ما هو مستكن فى نفوسهم، فتشتعل فيها نار الشهوة ، فيصيحون ، وكل ذلك فساد . وربما احتوى الشطح على الدعاوى العريضة فى محبة الله ــ تعالى ــ وفى هذا ضرر عظيم . وقد ترك جماعة من الفلاحين فلاحتهم ، وأظهروا مثل هذه الدعاوى .

٥ ــ ***اللفظ الخامس : الحكمة*** . والحكمة : العلم والعمل به . قال ابن قتيبة ــ رحمه الله ــ: لا يكون الرجل حكيماً حتى يجمع العلم والعمل . وقد صار هذا الاسم يطلق فى هذا الزمان على الطبيب والمُنَجِّم .

● فصل فى العلوم المحمودة

◉ أقسام العلوم المحمودة :

واعلم أن العلوم المحمودة تنقسم إلى قسمين :

الأول : محمود إلى أقصى غاياته ، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل . وهو العلم بالله ــ تعالى ــ وبصفاته ، وأفعاله ، وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فإن هذا علم مطلوب لذاته ، والتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وهو البحر الذى لا يدرك غوره وإنما يحوم المحومون على سواحله وأطرافه بقدر ما تيسر لهم .

القسم الثانى : العلوم التى لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص ، وهى التى ذكرناها من فروض الكفايات ، فإن فى كل منها افتقاراً واقتصاراً واستقصاءً . فكن أحد رجلين : إما مشغولاً بنفسك ، وإما متفرغاً لغيرك بعد الفراغ من نفسك . وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، واشتغل بإصلاح باطنك وتطهيره من الصفات الذميمة ، كالحرص ، والحسد ، والرياء ، والعجب ، قبل إصلاح ظاهرك ، وسيأتى ذلك إن شاء الله ــ تعالى ــ فى ربع المهلكات . فإن لم تتفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات ، فإن فى الخلق كثيراً يقومون بذلك ، فإن مهلك نفسه فى طلب صلاح غيره سفيه ، ومثله مثل ما دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره !!!

□ ضرورة التدرج فى التعلم بعد تطهير النفس :

فإن تفرغت من نفسك وتطهيرها ــ وما أبعد ذلك ــ فاشتغل بفروض الكفايات وراع

---

(١) الطَّمَّة : الضلال والحَيْرة .

التدرج فى ذلك . فابتدىء بكتاب الله ـ عز وجل ـ، ثم بسُنَّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ثم بعلوم القرآن : من التفسير ، ومن ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، إلى غير ذلك . وكذلك فى السنة ، ثم اشتغل بالفروع ، وأصول الفقه وهكذا بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت . ولا تستغرق عمرك فى فن واحد منها طلباً للاستقصاء ، فإن العلم كثير ، والعمر قصير ، وهذه العلوم آلات يراد بها غيرها ، وكل شىء يطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب .

● فصل فى عالم لم ينفعه علمه

واعلم : أن المناظرة الموضوعة لقصد المغالبة والمباهاة منبع الأخلاق المذمومة ، ولا يسلم صاحبها من كبر ، لاحتقار المقصرين عنه ، وعجب بنفسه لارتفاعه على كثير من نظرائه ، ولا يسلم من الرياء ، لأن جمهور مقصود المناظر اليوم علم الناس بغلبته ، وإطلاق ألسنتهم بشكره ومدحه ، فهو يذهب عمره فى العلوم التى تعين على المناظرة مما لا ينفع فى الآخرة ، كحسن اللفظ ، وحفظ النوادر . وقد روى فى الحديث عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : « **أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه** »[1] .

● باب فى آداب المعلم والمتعلم وآفات العلم وبيان علماء السوء وعلماء الآخرة

◉ اداب المتعلم :

أما المتعلم فينبغى له تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات . إذ العلم عبادة القلب . وينبغى له قطع العلائق الشاغلة ، فإن الفكرة متى توزعت قصرت عن إدراك الحقائق .

وقد كان السلف يؤثرون العلم على كل شىء ، فروى عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنه لم يتزوج إلا بعد الأربعين . وأهديت إلى أبى بكر الأنبارى جارية ، فلما دخلت عليه تفكر فى استخراج مسألة فعزبت عنه[2]، فقال : أخرجوها إلى النَخَّاس[3] ، فقالت : هل من ذنب ؟ قال: لا إلا أن قلبى اشتغل بك ، وما قدر مثلك أن يمنعنى علمى . وعلى المتعلم أن يلقى زمامه إلى المعلم إلقاء المريض زمامه إلى الطبيب ، فيتواضع له ، ويبالغ فى خدمته . وقد كان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يأخذ بركاب زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء. ومتى تكبر المتعلم أن يستفيد من غير موصوف بالتقدم

---

(١) عزاه السيوطى لابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الإيمان والطيالسى عن أبى هريرة [جمع الجوامع ١١٢/١] وعزاه العراقى للطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى هريرة بإسناد ضعيف [٣/١] (٢) عزبت عنه : أى بعدت المسألة التى كان يفكر فيها عنه . (٣) النخَّاس : تاجر الرقيق .

فهو جاهل ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها ، وليدع رأيه لرأى معلمه فإن خطأ المعلم أنفع للمتعلم من صواب نفسه .

قال على ــ رضى الله عنه ــ: إن من حق العالم عليك أن تُسَلِّمَ على القوم عامة ، وتَخُصَّهُ بالتحية ، وأن تجلسَ أمامه ، ولا تشير عنده بيدك ، ولا تغمزن بعينك ، ولا تكثر عليه السؤال ، ولا تعينه فى الجواب ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تراجعه إذا امتنع ، لا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشى له سراً ، ولا تغتابَنَّ عنده أحداً ، ولا تطلُبَنَّ عثرته ، وإن زَلَّ قبلت معذرته ، ولا تقولن له : سمعت فلاناً يقول كذا ، ولا أن فلاناً يقول خلافك . ولا تصفَنَّ عنده عالماً ، ولا تعرض من طول صحبته ، ولا ترفع نفسك عن خدمته ، وإذا عرضت له حاجة سبقت القوم إليها ، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شىء . وينبغى أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الأمر من الإصغاء إلى اختلاف الناس ، فإن ذلك يُحَيِّرُ عقله ويفتر ذهنه .

وينبغى له أن يأخذ من كل شىء أحسنه ، لأن العمر لا يتسع لجميع العلوم ، ثم يصرف جماع قوته إلى أشرف العلوم ، وهو العلم المتعلق بالآخرة ، الذى به يكتسب اليقين الذى حصله أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ، حتى شهد له رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال : « **ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن بشىء وقر فى صدره** »[1] فهذه وظائف المتعلم .

◉ آداب المُعَلِّم :

وأما المعلم فعليه وظائف أيضاً : **ومن ذلك** : الشفقة على المتعلمين ، وأن يجريهم مجرى بنيه ، ولا يطلب على إفاضة العلم أجراً ، لا يقصد به جزاءً ولا شكراً ، بل يعلم لوجه الله ــ تعالى ــ، ولا يرى لنفسه منَّةً على المتعلمين ، بل يرى الفضل لهم إذ هيأوا قلوبهم للتقرب إلى الله ــ تعالى ــ بزراعة العلم فيها ، فهم كالذى يعير الأرض لمن يزرع فيها . فلا ينبغى أن يطلب المعلم الأجر إلا من الله ــ تعالى ــ. وقد كان السلف يمتنعون من قبول هدية المتعلم . **ومنها** : أن لا يدخر من نصح المتعلم شيئاً ، وأن يزجره عن سوء الأخلاق بطريق التعريض مهما أمكن ، لا على وجه التوبيخ ، فإن التوبيخ يهتك حجاب الهيبة . **ومنها** : أن ينظر فى فهم المتعلم ومقدار عقله ، فلا يلقى إليه ما لا يدركه فهمه ولا يحيط به عقله . فقد روى عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **أمرت أن أخاطب الناس على قدر**

---

(١) ذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة رقم [٩٧٠] بلفظ : ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشىء وقر فى قلبه . وقال : ذكره الغزالى ، وقال العراقى : لم أجده مرفوعاً ، وهو عند الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول من قول بكر بن عبد الله المزنى ا . هـ .

عقولهم »[1] . وقال على ــ رضى الله عنه ــ: إن هٰهنا علماً لو أصبت له حملته : وقال الشافعى : [رحمه الله]

أأنثر دراً بين سارحة النعم أأنظم منثوراً لراعية الغنم
ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ومنها أن يكون المعلم عاملاً بعلمه . ولا يكذب قوله فعله . قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ** ﴾[2] وقال على ــ رضى الله عنه ــ:قصم ظهرى رجلان : عالم متهتك ،وجاهل متنسك .

● فصل فى آفات العلم وبيان علماء السوء وعلماء الآخرة

علماء السوء : هم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا ، والتوصل إلى المنزلة عند أهلها . وقد روى أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ، عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : **« من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ــ عز وجل ــ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة »** يعنى ريحها[3]. وفى حديث آخر أنه قال : **« من تعلم العلم ليباهى به العلماء ، أو يمارى به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، فهو فى النار »** رواه الترمذى[4] وفى ذلك أحاديث كثيرة . وقال بعض السلف : أشد الناس ندامة عند الموت عالم مفرط .

واعلم : أن المأخوذ على العالم أن يقوم بالأوامر والنواهى ، وليس عليه أن يكون زاهداً ولا معرضاً عن المباحات ، إلا أنه ينبغى له أن يتقلل من الدنيا مهما استطاع ، لأنه ليس كل جسم يقبل التعلل ، فإن الناس يتفاوتون . وروى أن سفيان الثورى ــ رحمه الله ــ كان حسن المطعم ، وكان يقول : إن الدابة إذا لم يحسن إليها فى العلف لم تعمل . وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يصبر من خشونة العيش على أمر عظيم ، والطباع تتفاوت . ومن صفات علماء الآخرة أن يعلموا أن الدنيا حقيرة ، وأن الآخرة شريفة . وأنهما كالضَّرَّتَيْن[5]، فهم يؤثرون الآخرة ، ولا تخالف أفعالهم أقوالهم ، ويكون ميلهم إلى العلم النافع فى الآخرة ، ويجتنبون العلوم التى يقل نفعها إيثاراً لما يعظم نفعه ، كما روى عن شقيق البلخى ــ رحمه الله ــ أنه قال لحاتم : قد صحبتنى مدة ، فماذا تعلمت ؟ قال : ثمانية

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس رقم ١٦١١ [١/٣٩٨] عن ابن عباس . (٢) البقرة : ٤٤ .
(٣) رواه أبو داود فى العلم رقم [٣٦٦٤] ، وابن ماجه فى المقدمة برقم [٢٥٢] ، المسند [٢/٢٣٨] .
(٤) رواه الترمذى فى العلم باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا . وابن ماجه فى المقدمة باب [٢٣] رقم ٢٥٣] عن جابر بسند صحيح .
(٥) ضرَّة المرأة : امرأة زوجها ، ومعلوم ما بين الضرتين من التنافس ، فكأنه جعل من الدنيا والآخرة ضرة للأخرى . ومثبت على الهامش عبارة لفظها : « كضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى » .

obeikandl.com

مسائل : ***أما الأولى*** : فإنى نظرت إلى الخلق ، فإذا كل شخص له محبوب ، فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه ، فجعلت محبوبى حسناتى لتكون فى القبر معى . ***وأما الثانية*** : فإنى نظرت إلى قول الله ــ تعالى ــ: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾(١) فأجهدتها فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله ــ تعالى ــ.***وأما الثالثة*** : فإنى رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه ، ثم نظرت فى قوله ــ سبحانه وتعالى ــ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ ﴾(٢) فكلما وقع معى شيء له قيمة ، وجهته إليه ليبقى لى عنده . ***وأما الرابعة*** : فإنى رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، وليست بشيء ،فنظرت فى قول الله ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٣) فعملت فى التقوى لأكون عنده كريماً .

وأما الخامسة : فإنى رأيت الناس يتحاسدون ، فنظرت فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾(٤) فتركت الحسد . ***والسادسة*** : رأيتهم يتعادون، فنظرت فى قول الله ــ تعالى ــ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(٥) فتركت عداوتهم واتخذت الشيطان وحده عدواً . ***والسابعة*** : رأيتهم يذلون أنفسهم فى طلب الرزق ، فنظرت فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾(٦) فاشتغلت بما له علىّ وتركت مالى عنده . ***والثامنة*** : رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم ، فتوكلت على الله ــ تعالى ــ.

ومن صفات علماء الآخرة : أن يكونوا منقبضين عن السلاطين ،محترزين من مخالطتهم . قال حذيفة ــ رضى الله عنه ــ: إياكم ومواقف الفتن . قيل : وما هى ؟ قال : أبواب الأمراء ، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ، ويقول ما ليس فيه . وقال سعيد ابن المسيب ــ رحمه الله ــ: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء ، فاحذروا منه فإنه لص . وقال بعض السلف : إنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه . ومن صفات علماء الآخرة : أن لا يتسرعوا إلى الفتوى ، وأن لا يفتوا إلا بما يتيقنون صحته . وقد كان السلف يتدافعون الفتوى(٧)حتى ترجع إلى الأول . وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى ــ رحمه الله ــ: أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، ما أحد يسأل عن حديث أوفتوى إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك . ثم قد آل الأمر إلى إقدام أقوام يدّعون العلم اليوم ، يقدمون على الجواب فى مسائل لو عرضت لعمر ابن الخطاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ لجمع أهل بدرواستشارهم .ومن صفاتهم : أن يكون أكثر

(١) النازعات : ٤٠ (٢) النحل : ٩٦ .
(٣) الحجرات : ١٣ . (٤) الزخرف : ٣٢ . (٥) فاطر : ٦ . (٦) هود : ٦ .
(٧) أى يحيل أحدهم الفتوى لغيره إذا سُئل عنها خشية أن يفتوا فيها ، ورهبة منهم لها ، وخوفًا من الإقدام عليها ، لعظم المسئولية فى ذلك .

بحثهم فى علم الأعمال عما يفسدها ويكدر القلوب ويهيج الوساوس ، فإن صور الأعمال قريبة سهلة ، وإنما التعب فى تصفيتها . وأصل الدين : التوقى من الشر ، ولا يصح أن يتوقى حتى يعرف . ومن صفاتهم : البحث عن أسرار الأعمال الشرعية ، والملاحظة لحكمها . فإن عجز عن الاطلاع على العلة كفاه التسليم للشرع . ومن صفاتهم : اتباع الصحابة وخيار التابعين ، وتوقى كل محدث .

● كتاب الطهارة واسرارها والصلاة وما يتعلق بها

◉ مراتب الطهارة :

اعلم : أن الطهارة لها أربع مراتب : ***الأولى*** : تطهير الظاهر من الأحداث والأنجاس والفضلات . ***والثانية*** : تطهير الجوارح من الذنوب والآثام . ***والثالثة*** : تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .

والرابعة : تطهير السر عما سوى الله ـ تعالى ـ، وهذا هو الغاية القصوى ، فمن قويت بصيرته سمت إلى هذا المطلوب ، ومن عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطهارة إلا المرتبة الأولى ، فتراه يضيع أكثر زمانه الشريف فى المبالغة فى الاستنجاء وغسل الثياب ، ظناً منه بحكم الوسوسة وقلة العلم أن الطهارة المطلوبة هى هذه فقط ، وجهلاً بسر المتقدمين الذين كانوا يستغرقون الزمان فى تطهير القلوب ويتساهلون فى أمر الظاهر ، كما روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه توضأ من جرة نصرانية ، وكانوا لا يكادون يغسلون أيديهم من (الزهم) الدسم ويصلون على الأرض ، ويمشون حفاة ، ويقتصرون فى الاستجمار على الأحجار .

وقد انتهى الأمر إلى قوم يسمون الرعونة[1] نظافة ، فترى أكثر زمانهم يمضى فى تزيين الظواهر ، وبواطنهم خراب محشوة بخبائث الكبر ، والعجب ،والجهل ،والرياء والنفاق . ولو رأوا مقتصراً فى الاستجمار على الحجر ، أو حافياً يمشى على الأرض ، أو من يصلى عليها من غير حائل ، أو متوضئًا من آنية عجوز ، لأنكروا عليه أشد الإنكار ، ولقبوه بالقذر ، واستنكفوا من مؤاكلته . فانظر كيف جعلوا البذاذة[2] التى هى من الإيمان قذارة ، والرعونة نظافة ، وصيروا المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً . لكن من قصد بهذه الطهارة النظافة ولم يسرف فى الماء ، ولم يعتقد أن استعمال الماء الكثير أصل الدين ، فليس ذلك بمنكر ، بل هو فعل حسن . وليرجع فى معرفة الأنجاس والأحداث إلى كتب الفقه . فإن المقصود من هذا الكتاب الآداب . وأما إزالة الفضلات فهى نوعان :

الأول : أوساخ تزال ، كالذى يجتمع فى الرأس من الوسخ والدرن ، فيستحب تنظيفه بالغسل والترجيل[3] والتدهين لإزالة الشعث[4]، وكذلك ما يجتمع فى الأذن والأنف من

---

(١) الرعونة : الحمق .
(٢) البذاذة : رثاثة الهيئة ، أراد بها التواضع فى الملبس والمظهر .
(٣) الترجيل : تسريح الشعر .
(٤) الأشعث : المُغبَّر الرأس .

الوسخ يستحب إزالته . ويستحب التسوك والمضمضة لإزالة ما على الأسنان واللسان من القلح[1] . وكذلك وسخ البراجم[2] والدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق ، وذلك يزيله الغسل . ولا بأس بدخول الحمام ، فإنه أبلغ فى الإزالة ، وقد دخله جماعة من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لكن على داخله صيانة عورته من نظر الغير إليها ولمسه إياها . وينبغى للداخل إليه أن يتذكر بحرارته حر النار ، فإن فكرة المؤمن لا تزال تجول فى كل شىء من أمور الدنيا فيذكر به أمور الآخرة ، لأن الغالب على المؤمن أمر الآخرة ، وكل إناء ينضح بما فيه . ألا ترى أنه لو دخل إلى دار معمورة بَزَّاز[3] ، ونجار ، وبناء ، وحائك[4] ، رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها ، والحائك ينظر إلى نسج الثياب ، والنجار ينظر إلى سقف الدار ، والبناء ينظر إلى الحائط ، فكذلك المؤمن إن رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر ، وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور ، وإن رأى نعيماً تذكر نعيم الجنة ، وإن رأى عذاباً ذكر النار . ويكره دخول الحمام قريباً من الغروب وبين العشاءين ، فإنه وقت انتشار الشياطين .

النوع الثانى من إزالة الفضلات : أجزاء تحذف ، مثل قص الشارب ،ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وقص الأظافر ويكره نتف الشيب ويستحب خضابه .

● فصل فى فضائل الصلاة

وأما الصلاة فإنها عماد الدين وغرة الطاعات ، وقد ورد فى فضائل الصلاة أخبار كثيرة مشهورة ، ومن أحسن آدابها الخشوع . وقد روى عن عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ ، عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كله** »[5] .

وله فى حديث أيضاً عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « **من صلى ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه** »[6] . وكان ابن الزبير ــ رضى الله عنهما ــ إذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع ، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذع

---

(١) القَلَح : صُفْرة فى الأسنان .

(٢) البراجم : مفاصل الأصابع التى بين الأشاجع والرَّواجب وهى رءوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبضَ القابض كَفَّهُ نشزت وارتفعت . (٣) بائع الثياب . (٤) حائك الثياب : الخيّاط .

(٥) رواه مسلم فى كتاب الطهارة رقم [٧]، والإمام أحمد فى المسند [٥/٢٤٧ ، ٣١٧ ــ ٦/٤٥٠] ، وأبو داود فى الصلاة رقم [٤٢٥ ، ٤٣٠] بنحوه

(٦) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث صلة بن أشيم مرسلاً ، هو فى الصحيحين من حديث عثمان بزيادة فى أوله ، فى البخارى كتاب الوضوء رقم [١٥٩] ، مسلم فى الطهارة رقم [٣ ، ٤] . وزاد الطبرانى فى « الأوسط » ، « إلا بخير » . [انظر تخريج العراقى ١/١٥٠] .

حائط ،وصلى يوماً فى الحجر[1] فجاء حجر قذافة[2]فذهب ببعض ثوبه فما انفتل[3]. وقال ميمون بن مهران : ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً فى صلاة قط ، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها ، وإنه لفى المسجد يصلى فما التفت ، وكان أهل بيته إذا دخل المنزل سكتوا ، فإذا قام إلى الصلاة تكلموا وضحكوا . وكان على بن الحسن ــ رضى الله عنهما ــ إذا توضأ اصفر لونه ، فقيل له : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فقال : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

واعلم : أن للصلاة أركاناًوواجبات وسُنَنًا ، وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب ، فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة؛ لأن النطق إذا لم يعرب عما فى الضمير كان بمنزلة الهذيان ، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال ، لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة ، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم ، ولم يكن القلب حاضراً ، لم يحصل المقصود ، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقى صورة لا اعتبار بها ، قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **لن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دماؤها وَلكن يَنَالُهُ التقوى مِنكُمْ** ﴾[4]. والمقصود أن الواصل إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الوصف الذى استولى على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة ، فلا بد من حضور القلب فى الصلاة ، ولكن سامح الشارع فى غفلة تطرأ ، لأن حضور القلب فى أولها ينسحب حكمه على باقيها .

ـ معانى إتمام حياة الصلاة :

والمعانى التى تتم بها حياة الصلاة كثيرة .

المعنى الأول :

حضور القلب كما ذكرنا ، ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ، وسبب ذلك الهمة ، فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة ، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة ، وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا ، فمتى رأيت قلبك لا يحضر فى الصلاة ، فاعلم أن سببه ضعف الإيمان ، فاجتهد فى تقويته .

والمعنى الثانى :

التفهم لمعنى الكلام فإنه أمر وراء حضور القلب ، لأنه ربما كان القلب حاضرا مع اللفظ دون المعنى ، فينبغى صرف الذهن إلى إدارك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع

---

(١) الحجر : حِجر الكعبة هو ما حواه الحطيم المُدار بالبيت الحرام جانب الشمال .

(٢) قُذَّافة : آلة حربية لرجم (قذف) الحجارة (المنجنيق) . (٣) انصرف . (٤) الحج : ٣٧ .

موادها ، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها . والمواد ، إما ظاهرة ، وهى ما يشغل السمع والبصر ، وإما باطنة وهى أشد كمن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا ، فإنه لا ينحصر فكره فى فن واحد ، ولم يغنه غض البصر ، لأن ما وقع فى القلب كاف فى الاشتغال به . وعلاج ذلك إن كان من المواد الظاهرة ،بقطع ما يشغل السمع والبصر ، وهو القرب من القبلة ، والنظر إلى موضع سجوده ، والاحتراز فى الصلاة من المواضع المنقوشة ، وأن لا يترك عنده ما يشغل حسه ، فإن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لما صلى فى انبجانية(*) لها أعلام نزعها وقال : « **إنها أفتتنى آنفاً عن صلاتى** »(١) . وإن كان من المواد الباطنة ، فطريق علاجه أن يرد النفس قهراً إلى ما يقرأ فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ، ويستعد لذلك قبل الدخول فى الصلاة ، بأن يقضى أشغاله ، ويجتهد فى تفريغ قلبه ، ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدى الله ــ عز وجل ــ وهول المطلع ، فإن لم تسكن الأفكار بذلك . فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه ، فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق .

واعلم : أن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوى ، والعلة إذا قويت جاذبت المصلى وجاذبها إلى أن تنقضى الصلاة فى المجاذبة ، ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفى يده خشبة يطيرها بها ، فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها ، فقيل له : هذا شىء لا ينقطع ، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة . [فكذلك شجرة الشهوة إذا تشعبت وتفرقت أغصانها انجذبت إليها الأفكار كانجذاب العصافير إلى الأشجار والذباب إلى الأقذار ، فذهب العمر النفيس فى دفع ما لا يندفع ، وسبب هذه الشهوة](٢) التى تجلب هذه الأفكار حب الدنيا . قيل لعامر بن عبد قيس ــ رحمه الله ــ: هل تحدثك نفسك بشىء من أمور الدنيا فى الصلاة ؟ فقال : لأن تختلف الأَسِنَّةَ فىَّ أحب إلىَّ من أن أجد هذا !!

واعلم : أن قطع حب الدنيا من القلب أمر صعب ، وزواله بالكلية عزيز ، فليقع الاجتهاد فى الممكن منه ، والله الموفق المعين .

(*) هى كساء غليظ ، تنسب إلى منبج على قول بعضهم ، بينما قال آخرون : الصواب أنها منسوبة إلى موضع يقال له : أنبجان [انظر فتح الباري ٥٧٦/١] . قلت : وقد أخطأ المصنف فيما زعم أن النبى نزع الإنبجانية عنه لأن فيها أعلاماً شغلته فى الصلاة ؛ لأن الثابت من حديث البخارى رقم [٣٧٣] باب « إذا صلى فى ثوب له أعلام » من كتاب الصلاة أنه ــ ﷺ ــ كان يصلى فى خميصة لها أعلام ، فطلب إنبجانية لا أعلام لها ا .هـ .

(١) الحديث فى صحيح البخارى كتاب الصلاة رقم [٣٧٣] ، ورواه مسلم فى المساجد رقم [٦٢] ، المسند [١٩٩/٦] .

(٢) ما بين المعقوفتين مما هو مثبت على هامش المخطوط وقد أثبتناه لأن المعنى لا يتم إلا به .

المعنى الثالث :

التعظيم لله والهيبة ، وذلك يتولد من شيئين :

١ ــ معرفة جلال الله ــ تعالى ــ وعظمته .

٢ ــ ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة ، فيتولد من المعرفتين : الاستكانة ، والخشوع .

ومن ذلك الرجاء : فإنه زائد على الخوف ، فكم من معظم ملكاً يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره . والمصلى ينبغى أن يكون راجياً بصلاته الثواب ، كما يخاف من تقصيره العقاب . وينبغى للمصلى أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة ، فإذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة ، ولينظر ماذا يجيب ، وبأى بدن يحضر . وإذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق ، فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التى لا يطلع عليها إلا الخالق ، وليس لها عنه ساتر ، وأنها يكفرها الندم ، والحياء ، والخوف . وإذا استقبل القبلة فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله ــ تعالى ــ ، فصرف قلبه إلى الله ــ تعالى ــ أولى من ذلك ، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها ، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله ــ تعالى ــ إلا بالانصراف عما سواه . إذا كبرت أيها المصلى ، فلا يكذبن قلبك لسانك ، لأنه إذا كان فى قلبك شيء أكبر من الله ــ تعالى ــ فقد كذبت ، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله ــ تعالى ــ . فإذا استعذت ، فاعلم أن الاستعاذة هى لجوء إلى الله ــ سبحانه ــ ، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغواً ، وتفهم معنى ما تتلو ، واستحضر التفهم بقلبك عند قولك : ﴿ **الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين** ﴾[1] ، واستحضر لطفه عند قولك : ﴿ **الرَّحْمٰن الرحيم** ﴾[2] ، وعظمته عند قولك : ﴿ **مَالك يَوْم الدِّين** ﴾[3] . وذلك فى جميع ما تتلو .

وقد روينا عن زرارة بن أبى أوفى ــ رضى الله عنه ــ أنه قرأ فى صلاته : ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ** ﴾[4] فخر ميتاً ، وما ذاك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف . واستشعر فى ركوعك التواضع ، وفى سجودك زيادة الذل ، لأنك وضعت النفس موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذى خُلقت منه وتفهم معنى الأذكار بالذوق .

واعلم : أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ ، وحصول الأنوار فيه التى بها تتلمح عظمة المعبود ، وتطلع على أسراره وما يعقلها إلا العالمون . فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها ، فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده .

---

(١) ، (٢) ، (٣) الفاتحة : ٢ ــ ٤ . (٤) المدثر : ٨ .

● فصل فى آداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة

وهى نحو من خمسة عشر :

● ***أحدها*** : أن يستعد لها من يوم الخميس وفى ليلة الجمعة ، بالتنظيف ، وغسل الثياب ، وإعداد ما يصلح لها .

● ***الثانى*** : الاغتسال فى يومها ، كما جاء فى الأحاديث فى « الصحيحين »[1] وغيرهما . والأفضل فى الاغتسال أن يكون قبيل الرواح إليها .

● ***الثالث*** : التزين بتنظيف البدن ، وقص الأظفار ، والسواك ، وغير ذلك مما تقدم من إزالة الفضلات ، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه .

● ***الرابع*** : التبكير إليها ماشياً . وينبغى للساعى إلى الجامع أن يمشى بسكون وخشوع ، وينوى الاعتكاف فى المسجد إلى وقت خروجه .

● ***الخامس*** : أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يفرق بين اثنين إلا أن يرى فرجة فيتخطى إليها .

● ***السادس*** : أن لا يمر بين يدى المصلى .

● ***السابع*** : أن يطلب الصف الأول ، إلا أن يرى منكراً أو يسمعه فيكون له فى التأخر عذراً .

● ***الثامن*** : أن يقطع النفل من الصلاة والذكر عند خروج الإمام ، ويشتغل بإجابة المؤذن ، ثم بسماع الخطبة .

● ***التاسع*** : أن يصلى السنة بعد الجمعة إن شاء ركعتين وإن شاء أربعاً ، وإن شاء ستاً .

● ***العاشر*** : أن يقيم فى المسجد حتى يصلى العصر ، وإن أقام إلى المغرب فهو أفضل .

● ***الحادى عشر*** : أن يراقب الساعة الشريفة التى فى يوم الجمعة بإحضار القلب وملازمة الذكر .

واختلف فى هذه الساعة ، ففى أفراد مسلم من حديث أبى موسى ــ رضى الله عنه ــ: أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة[2] . وفى حديث آخر : هى ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تقضى الصلاة . وفى حديث جابر ــ رضى الله عنه ــ: أنها آخر ساعة بعد العصر . وفى حديث أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : التمسوها ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . وقال أبو بكر الأثرم ــ رحمه الله ــ: لا تخلو هذه الأحاديث من وجهين : إما أن يكون بعضها أصح من بعض ، وإما أن تكون هذه الساعة تنتقل فى الأوقات كتنقل ليلة القدر فى ليالى العشر .

● ***الثانى عشر*** : أن يكثر من الصلاة على النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فى هذا

---

(١) انظر صحيح البخارى كتاب « الجمعة » باب « فضل الغسل يوم الجمعة » ، وكذا رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجمعة رقم [١٠ ، ٢٦] . (٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجمعة حديث رقم [١٦] .

اليوم ، فقد روى عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : **من صلى علىّ فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة** »[1] . وإن أحب زاد فى الصلاة عليه الدعاء له ، كقوله : « **اللهم آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته ، اللهم اجز نبينا عنا ما هو أهله** »[*] . وليضف إلى الصلاة الاستغفار ، فإنه مستحب فى ذلك اليوم .

● ***الثالث عشر*** : أن يقرأ سورة الكهف ، فقد جاء فى حديث من رواية عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « **ألا أحدثكم بسورة ملأ عظمها ما بين السماء والأرض ، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينها وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله ـ تعالى ـ أى الليل شاء** »[2] ؟ قالوا : بلى يارسول الله : قال : « **سورة الكهف** »[3] . وروى فى حديث آخر : « **أن من قرأها فى يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقى الفتنة** » . ويستحب أن يكثر من قراءة القرآن فى يوم الجمعة ، وأن يختم فيه أو فى ليلة الجمعة إن قدر .

● ***الرابع عشر*** : أن يتصدق فى يوم الجمعة بما أمكن ، ولتكن صدقته خارج المسجد ويستحب أن يصلى صلاة التسبيح فى يوم الجمعة .

● ***الخامس عشر*** : يستحب أن يجعل يوم الجمعة لأعمال الآخرة ، ويكف عن جميع أشغال الدنيا .

● فصل فى ذكر النوافل

اعلم : أن ما عدا الفرائض من الصلاة ثلاثة أقسام : سنن ، ومستحبات ، وتطوعات

• ***ونعنى بالسنة*** : ما نقل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والمواظبة عليه . كالرواتب عقيب الفرائض والوتر والضحى .

• ***ونعنى بالمستحب*** : ما ورد الخبر بفضله و لم ينقل المواظبة عليه ، كالصلاة عند دخول المنزل والخروج منه .

• ***ونعنى بالتطوعات*** : ما وراء ذلك مما لم يرد به خبر ، لكن العبد يتطوع بفعله ، وتسمى هذه الأقسام الثلاثة : نوافل ، لأن النفل هو زيادة ، وهذه زيادة على الفرائض .

واعلم : أن أفضل تطوعات البدن : الصلاة . وأقسام النوافل وفضائلها مشهورة مذكورة

---

(١) فى تخريج العراقى [١/١٨٧] عزاه للدارقطنى من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب ، وقال ابن النعمان حديث حسن ا .هـ .

(*) انظر صحيح البخارى فى كتاب الأذان رقم ٦١٤ ، التفسير ـ سورة الإسراء باب ١١ .

(٢) أى فى أى وقت شاء من الليل

(٣) فى جمع الجوامع [١/٣٤٥] عزاه لابن مردويه والديلمى عن عائشة .

فى كتب الفقه وغيرها ، لكن نذكر منها صلاة التسبيح ، لأنها قد تخفى صفتها على بعض الناس .

فروى عكرمة عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال للعباس :« **يا عماه : ألا أعطيك ، ألا أعلمك** » ــ وذكر الحديث إلى أن قال : « **تصلى أربع ركعات ، تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ، ثم تهوى ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً قبل أن تقوم ، فذلك خمس وسبعون ، تفعل ذلك فى أربع ركعات إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تفعل ، ففى كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ، ففى كل شهر مرة ، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة** »[1] .

● فصل فى أوقات النهى عن الصلاة

ولا يتطوع فى أوقات النهى بصلاة لا سبب لها كصلاة التسبيح ؛ لأن النهى مؤكد فيها عن الصلاة ، وهذه الأشياء ضعيفة فلا تقاومه . وأما ما له سبب ، كتحية المسجد ، وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحوها ، فعلى روايتين .

◉ حكمة النهى عن الصلاة فى هذه الأوقات :

واعلم : أن النهى عن الصلاة فى الأوقات الثلاثة له ثلاثة أسرار :

● ***أحدها*** : ترك التشبه بعُبَّاد الشمس .

● ***الثانى*** : التحذير من السجود لقرن الشيطان ، فإن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان[2] . فإذا ارتفعت فارقها ، فإذا استوت قارنها ، فإذا زالت الشمس فارقها ، فإذا تضيفت للغروب قارنها ، فإذا غربت فارقها .

---

(١) ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات [٢/١٤٣ ، ١٤٦] وقال : موضوع ، إلا أن السيوطى قال فى جمع الجوامع [١/٩٧١] : أخطأ ابن الجوزى فى ذلك ، وقال العراقى فى تخريج الإحياء [١/١٨٨] : قال العقيلى وغيره فى صلاة التسبيح : ليس فيها حديث صحيح . ولكن الحاكم ذكرها فى المستدرك [١/٣١٨] وقال : وقد صحت الرواية عن ابن عمر أن رسول الله ــ ﷺ ــ علم ابن عمه هذه الصلاة ، كما ذكرها أبو داود فى سننه كتاب الصلاة برقم [١٢٩٧] ، وانظر تحفة الذاكرين للشوكانى [١٤١ ــ ١٤٢] ، الفوائد المجموعة له [حديث ٨٣ ص ٣٧ ــ ٣٨] .

(٢) ذلك من أحاديث رواها أبو داود فى سننه كتاب الصلاة باب من رخص فيهما إذا كانت الشمس مرتفعة رقم [١٢٧٧] ، النسائى فى سننه كتاب المواقيت باب النهى عن الصلاة بعد العصر ، أحمد فى مسنده [٤/١١١ ، ٢٣٥ ، ٣٢١] ، مالك فى الموطأ كتاب القرآن باب النهى عن الصلاة بعد الصبح والعصر رقم =

● **الثالث** : إن سالكى طريق الآخرة مواظبون على العبادات ، والمواظبة على نمط واحد يورث الملل ، فإذا وقع المنع زاد النشاط ، لأن النفس حريصة على ما منعت منه ، فمنع الإنسان من الصلاة فى أوقات النهى ، ولم يمنع من نوع آخر من التعبد ، كالقراءة ، والتسبيح لينتقل العابد من حال إلى حال ، كما جعلت الصلاة متنوعة بين قيام وقعود وركوع وسجود ، والله أعلم .

● كتاب الزكاة واسرارها وما يتعلق بها

الزكاة : أحد مبانى الإسلام ، وقد قرنها الله ــ سبحانه وتعالى ــ بالصلاة ، فقال ــ تعالى ــ: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وآتوا الزَّكَاةَ ﴾[1] أما أنواع الزكاة ، وأقسامها ، وأسباب وجوبها ، فظاهر مشهور فى مظانه من كتب الفقه ، وإنما نذكر ههنا بعض الشروط والآداب . فمن الشروط أن يخرج المنصوص عليه ، ولا يخرج القيمة فى الصحيح ، فإن من أجاز إخراج القيمة إنما تلمح سدَّ الخلة فقط ، وسد الخلة ليس هو كل المقصود بل بعضه .

◉ اقسام واجبات الشرع :

فإن واجبات الشرع ثلاثة أقسام :

القسم الأول : تعبد محض ، كرمى الجمار ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر عبودية العبد بفعل ما لا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه يساعد عليه الطبع ويدعو إليه ، فلا يظهر خلوص العبودية به ، بخلاف ما ذكرنا .

والقسم الثانى : عكس ذلك ، وهو ما لا يقصد منه التعبد ، بل المقصود منه حض محض ، كقضاء دين الآدميين ، ورد المغصوب ونحو ذلك ، وكذلك لا تعتبر فيه النية ولا الفعل ، بل كيفما وصل الحق إلى مستحقه حصل المقصود وسقط خطاب الشرع ، فهذان قسمان لا تركيب فيهما .

وأما القسم الثالث : فهو المركب ، وهو أن يقصد منه الأمران جميعاً ، امتحان المكلف ، وحظ العباد ، فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار ، وحظ رد الحقوق ، فلا ينبغى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد ، ولعل الأدق هو الأهم ، والزكاة من هذا القبيل ، فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة ، وحق التعبد مقصود الشرع فى اتباع التفاصيل ، وبهذا الاعتبار صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج ، والله أعلم .

● فصل فى دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة

◉ آداب مؤدِّى الزكاة :

اعلم : أن على مريد الآخرة فى زكاته وظائف .

= [١٠٤٤] . (١) البقرة : ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ــ النور : ٥٦ ــ المزمل : ٢٠ .

الأولى : أن يفهم المراد من الزكاة ، وهو ثلاثة أشياء :

١ ــ ابتلاء مدعى محبة الله ــ تعالى ــ بإخراج محبوبه .

٢ ــ والتنزه عن صفة البخل المهلك . ٣ ــ وشكر نعمة المال !

الوظيفة الثانية : الإسرار بإخراجها لكونه أبعد من الرياء والسمعة ، وفى الإظهار إذلال للفقير أيضاً ، فإن خاف أن يتهم بعدم الإخراج أعطى من لا يبالى من الفقراء بالأخذ بين الجماعة علانية ، وأعطى غيره سراً .

الوظيفة الثالثة : أن لا يفسدها بالمن والأذى ، وذلك أن الإنسان إذا رأى نفسه محسناً إلى الفقير ، منعماً بالإعطاء ، ربما حصل منه ذلك ، ولو حقق النظر لرأى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله الذى هو طهرة له . وإذا استحضر مع ذلك أن إخراجه للزكاة شكر لنعمة المال ، فلا يبقى بينه وبين الفقير معاملة . ولاينبغى أن يحتقر الفقير لفقره ، لأن الفضل ليس بالمال ولا النقص بعدمه .

الوظيفة الرابعة : أن يستصغر العطية ، فإن المستعظم للفعل معجب به . وقد قيل : لا يتم المعروف إلا بثلاث : بتصغيره ، وتعجيله ، وستره .

الوظيفة الخامسة : أن ينتقى من ماله أحله وأجوده وأحبه إليه ، أما الحل فإن الله ــ تعالى ــ طيب لا يقبل إلا طيباً . وأما الأجود ، فقد قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ** ﴾[1] . وينبغى أن يلاحظ فى ذلك أمرين : **أحدهما** : حق الله ــ سبحانه وتعالى ــ بالتعظيم له ، فإنه أحق من اختير له ، ولو أن الإنسان قدم إلى ضيفه طعاماً رديئاً لأوغر صدره . **والثانى** : حق نفسه ، فإن الذى يقدمه هو الذى يلقاه غداً فى القيامة ، فينبغى أن يختار الأجود لنفسه . وأما أحبه إليه : فلقوله ــ تعالى ــ: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾[2] . وكان ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ إذا اشتد حبه لشىء من ماله قربه لله ــ عز وجل ــ وروى : أنه نزل الجحفة وهو شاكٍ[*] ، فقال : إنى لأشتهى حيتاناً ، فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتاً ، فأخذته امرأته فصنعته ثم قربته إليه ، فأتى مسكين ، فقال ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ: خذه ، فقال له أهله : سبحان الله ، قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه ، فقال : إن عبد الله يحبه[**] . وروى أن سائلاً وقف بباب الربيع ابن خيثم ــ رحمة الله عليه ــ فقال : أطعموه سُكَّراً ، فقالوا : نطعمه خبزاً أنفع له فقال : ويحكم أطعموه سُكَّراً ، فإن الربيع يحب السُكَّر .

الوظيفة السادسة : أن يطلب لصدقته من تزكو به ، وهم خصوص من عموم الأصناف الثمانية[3] .

---

(١) البقرة : ٢٦٧ . (٢) آل عمران ــ ٩٢ .

(*) لعله أراد : شاكى الجوع أو الفقر . (**) أى أنه ينفق من أحب الأشياء إلى نفسه .

(٣) يعنى الأصناف الثمانية الذين تُصرف الزكاة لهم ، وهم الذين ذكرهم الله فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ إنما =

◉ صفات من يعطيهم زكاته :

ولهم صفات **الأولى** : التقوى ، فليخص بصدقته المتقين ، فإنه يرد بها هممهم إلى الله ـــ تعالى ـــ. وقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العباد وهم سجود ، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم ، فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه ، فقيل له : ما يمنعك أن ترسل بها إليهم ؟ فيقول : أكره أن يتمعر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولى أو لقيني .

الثانية : العلم ، فإن فى إعطاء العالم إعانة على العلم ونشر الدين، وذلك تقوية للشريعة .

الثالثة : أن يكون ممن يرى الإنعام من الله وحده ، ولا يلتفت إلى الأسباب إلا بقدر ما ندب إليه من شكرها ، فأما الذى عادته المدح عند العطاء ، فإنه سيذم عند المنع .

الرابعة : أن يكون صائناً لفقره ، ساتراً لحاجته ، كاتماً للشكوى ، كما قال ـــ تعالى ـــ: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾[1]. وهؤلاء لا يحصلون فى شبكة الطالب إلا بعد البحث عنهم ، وسؤال أهل كل محلة عمن هذه صفته .

الخامسة : أن يكون ذا عائلة ، أو محبوساً لمرض أودين ، فهذا من المحصرين ، والتصدق عليه إطلاق لحصره .

السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام ، فإن الصدقة عليهم صدقة وصِلَة ، وكل من جمع من هذه الخلال خلتين أو أكثر ، كان إعطاؤه أفضل على قدر ما جمع .

● فصل فى آداب القابض

◉ آداب آخذ الزكاة :

لابد أن يكون آخذ الزكاة من الأصناف الثمانية ، وعليه فى ذلك وظائف .

الوظيفة الأولى : أن يفهم أن الله ـــ تعالى ـــ إنما أوجب صرف الزكاة إليه ليكفيه ما أهمه ، ويجعل همومه هماً واحداً فى طلب ـــ رضى الله عز وجل ـــ.

الوظيفة الثانية : أن يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه ، وليكن ذلك بمقدار شكر السبب ، فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله ، كما ورد فى الحديث . ومن تمام الشكر أن لا يحتقر العطاء وإن قل ، ولا يذمه ، ويغطى ما فيه من عيب . وكما أن وظيفة المعطى الاستصغار فوظيفة المعطى الاستعظام ، وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله ـــ عز وجل ـــ. فإن من لا يرى الواسطة واسطة . فهو جاهل ، وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلاً .

= الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ [التوبة : ٦٠] .

(١) البقرة : ٢٧٣ .

الوظيفة الثالثة : أن ينظر فيما يعطاه ، فإن لم يكن من حل لم يأخذه أصلاً، لأن إخراج مال الغير ليس بزكاة ، وإن كان من شبهة تورع عنه ، إلا أن يضيق عليه الأمر ، فمن كان أكثر كسبه حراماً ، فأخرج الزكاة ولم يعرف لما أخرجه مالك معين ، كانت الفتوى فيه أن يتصدق به ، فيجوز لهذا الفقير أن يأخذ قدر حاجته عند ضيق الأمر عليه وعجزه عن الصافى .

الوظيفة الرابعة : أن يتوقى مواقع الشبه فى قدر ما يأخذ ، فيأخذ القدر المباح له ، ولا يأخذ أكثر من حاجته . فإن كان غارماً لم يزد على مقدار الدين ، أو غازياً لم يأخذ إلا مقدار ما يحتاج إليه ، وإن أخذ بالمسكنة أخذ قدر حاجته دون ما يستغنى عنه ، وكل ذلك موكول إلى اجتهاده ، والورع ترك ما يريب . واختلف العلماء فى قدر الغنى المانع من الزكاة ، والصحيح فيه أن يكون له كفاية على الدوام ، إما من تجارة ، أو صناعة أو أجر عقار أو غير ذلك ، وإن كان له بعض الكفاية أخذ ما يتممها ، وإن لم يكن له ذلك أخذ ما يكفيه . وليكن ما يأخذه بقدر ما يكفى سنته ولا يزيد على ذلك ، وإنما اعتبر بالسنة ، لأنها إذا ذهبت جاء وقت الأخذ ، وإذا أخذ الأكثر منها ضيق على الفقراء .

● فصل فى صدقة التطوع وفضلها وآدابها

أما فضائل الصدقة فهى كثيرة مشهورة :

منها : ما روى البخارى من حديث ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟** » قالوا : يارسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: « **فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر** »[1] . وفى « الصحيحين » من رواية أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **من تصدق بعدل[2] تمرة من كسب طيب ــ ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ــ فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه[3] حتى تكون مثل الجبل** »[4] . وفى حديث آخر : « **إن الصدقة لتطفىء غضب الرب ، وتقى ميتة السوء** »[5] . وفى حديث آخر : « **تصدقوا فإن الصدقة فكاكم من**

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب [الرقاق] رقم [٦٤٤٢] ، المسند [٣٨٢/١] .

(٢) أى : بمثل . (٣) الفَلُوّ : المُهْر ، والأنثى : فَلُوّة ، والفِلْو مثله .

(٤) البخارى فى صحيحه ، « كتاب الزكاة » باب الصدقة من « كسب طيب » رقم [١٤١٠] ، مسلم فى « الزكاة » رقم [٦٣ ، ٦٤] ، والمسند [٣٣١/٢ ، ٣٨٢ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ــ ٢٥١/٦] .

(٥) قال العراقى : رواه الطبرانى فى الكبير بلفظ : صدقه السر تطفىء غضب الرب من حديث أبى أمامة ، وأبو الشيخ فى الثواب والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى سعيد وكلاهما ضعيف ، والترمذى من حديث أبى هريرة [إن الصدقة لتطفىء غضب الرب » وحسنه . ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف [تخريج العراقى ٢١٦/١] .

النار »[1] . وعن بريدة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال : رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **ما يخرج أحد شيئاً من الصدقة حتى يفك عنه لحى سبعين شيطاناً** »[2].

وروى أن راهباً تعبد فى صومعة ستين سنة ، ثم نزل يوماً ومعه رغيف ، فعرضت له امرأة فتكشفت له ، فوقع عليها ، فأدركه الموت وهو على تلك الحال ، وجاء سائل فأعطاه الرغيف ومات ، فجىء بعمل ستين سنة ، فوضع فى كفة وخطيئته فى كفة ، فرجحت بعمله ، حتى جىء بالرغيف فوضع مع عمله ، فرجح بخطيئته . وفى أفراد مسلم ، من حديث أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ، عن النبى ــ ﷺ ــ وآله وسلم أنه قال : « **ما نقصت صدقة من مال** »[3] . وروى عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أنهم ذبحوا شاة فقال النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **ما بقى منها ؟** » فقالت : ما بقى منها إلا كتفها ، فقال : « **بقى كلها إلا كتفها** »[4] . وأما آدابها ، فنحو ما تقدم فى الزكاة . واختلفوا : أيما أفضل للفقير ، أن يأخذ من الزكاة ، أو من الصدقة . فقال قوم : من الزكاة أفضل ، وقال آخرون : من الصدقة أفضل . وأما أفضل الصدقة فعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال: « سئل رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، أى الصدقة أفضل ؟ قال : « **أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان** » أخرجاه فى « الصحيحين »[5].

● كتاب الصوم واسراره ومهماته وما يتعلق به

اعلم : أن فى الصوم خصيصة ليست فى غيره ، وهى إضافته إلى الله ــ عز وجل ــ حيث يقول ــ سبحانه ــ: « **الصوم لى وأنا أجزى به** »[6] ، وكفى بهذه الإضافة شرفاً ، كما شرف البيت بإضافته إليه فى قوله : ﴿ **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ** ﴾[7] . وإنما فضل الصوم لمعنيين :

أحدهما : أنه سر وعمل باطن ، لا يراه الخلق ولا يدخله رياء .

الثانى : أنه قهر لعدو الله ، لأن وسيلة العدو الشهوات ، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ، وما دامت أرض الشهوات مخصبة ، فالشياطين يترددون إلى ذلك المرعى ، وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك . وفى الصوم أخبار كثيرة تدل على فضله وهى مشهورة .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية [٤٠٣/١٠] .

(٢) المسند [٣٥١/٥] ، المستدرك [٤١٧/١] ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

(٣) رواه مسلم فى البر رقم [٦٩] ، رواه الإمام أحمد فى المسند [٢٣٥/٢ ، ٣٨٦ ، ٤٣٨] .

(٤) رواه الترمذى فى القيامة باب ٣٣ [٢٩٠/٩] وقال : صحيح ، ورواه أحمد فى المسند [٥٠/٦] .

(٥) مسلم فى كتاب « الزكاة » رقم [٩٣] ، وأحمد فى المسند [٢٣١/٢ ، ٢٥٠ ، ٤١٥ ، ٤٤٧] ، والبخارى فى كتاب الزكاة باب فضل صدقة الشحيح الصحيح رقم [١٤١٩] .

(٦) حديث قدسى رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصوم رقم [١٨٩٤ ، رواه أحمد فى المسند . [٤٤٦/١ ، ٢٣٢/٢] ، [٥/٣ ، ٤٠ ، ٣٤١] . (٧) الحج : ٢٦ .

● فصل فى سنن الصوم

يستحب السحور ، وتأخيره ، وتعجيل الفطر ، وأن يفطر على التمر . ويستحب الجود فى رمضان ، وفعل المعروف ، وكثرة الصدقة ، اقتداء برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ. ويستحب دراسة القرآن ، والاعتكاف فى رمضان : لا سيما فى العشر الأواخر ، وزيادة الاجتهاد فيه . وفى « الصحيحين » من حديث عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : كان النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إذا دخل العشر [يعنى الأخير] ، شد مئزره ، وأحيا الليل ، وأيقظ أهله[1] . وذكر العلماء فى معنى شد المئزر وجهين : **أحدهما** : أنه الإعراض عن النساء . **الثانى** : أنه كناية عن الجد والتشمير فى العمل . قالوا : وكان سبب اجتهاده فى العشر طلب ليلة القدر .

● بيان اسرار الصوم وآدابه

وللصوم ثلاث مراتب : صوم العموم. وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص .

- ***فأما صوم العموم*** : فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .
- ***وأما صوم الخصوص*** : فهو كف النظر ، واللسان ،واليد ، والرجل ، والسمع ، والبصر ، وسائر الجوارح عن الآثام .
- ***وأما صوم خصوص الخصوص*** : فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة ، والأفكار المبعدة عن الله ــ تعالى ، وكفه عما سوى الله ــ تعالى ــ بالكلية ، وهذا الصوم له شروح تأتى فى غير هذا الموضع .

فمن آداب صوم الخصوص : غض البصر ، وحفظ اللسان عما يؤذى من كلام محرم أو مكروه ، أو ما لا يفيد ، وحراسة باقى الجوارح . وفى الحديث من رواية البخارى ، أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** »[2] .

ومن آدابه : أن لا يمتلىء من الطعام فى الليل ، بل يأكل بمقدار ، فإنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطن . ومتى شبع أول الليل لم ينتفع بنفسه فى باقيه ، وكذلك إذا شبع وقت السحر لم ينتفع بنفسه إلى قريب من الظهر ، لأن كثرة الأكل تورث الكسل والفتور ، ثم يفوت المقصود من الصيام بكثرة الأكل ، لأن المراد منه أن يذوق طعم الجوع ، ويكون تاركاً للمشتهى . فأما صوم التطوع ، فاعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة ، كصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان ، وكصيام يوم

---

(١) البخارى فى كتاب ليلة القدر باب العمل فى العشر الأواخر من رمضان رقم [٢٠٢٤] ، مسلم فى الاعتكاف رقم [٧] ، المسند [٤١/٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٤٦] .

(٢) رواه البخارى فى كتاب « الصيام » باب « من لم يدع قول الزور والعمل به فى الصوم » ، رقم [١٩٠٣] .

عرفة ، ويوم عاشوراء ، وعشر ذى الحجة ، والمحرم . وبعضها يتكرر فى كل شهر ، كأوله ، وأوسطه ، وآخره ، فمن صام أول الشهر وأوسطه وآخره فقد أحسن . غير أن الأفضل أن يجعل الثلاثة أيام البيض . وبعضها يتكرر فى كل أسبوع وهو يوم الاثنين ، ويوم الخميس . وأفضل صوم التطوع صوم داود ــ عليه السلام ــ: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ؛ وذلك يجمع الثلاثة معان :

أحدها : أن النفس تعطى يوم الفطر حظها ، وتستوفى فى يوم الصوم تعبدها ، وفى ذلك جمع بين مالها وما عليها ، وهو العدل .

والثانى : أن يوم الأكل يوم شكر ، ويوم الصوم يوم صبر ، والإيمان نصفان : شكر وصبر .

والثالث : أنه أشق على النفس فى المجاهدة ، لأنها كلما أنست بحالة نقلت عنها .

فأما صوم الدهر : ففى أفراد مسلم من حديث أبى قتادة ــ رضى الله عنه ــ أن عمر ــ رضى الله عنه ــ سأل النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال : كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ فقال : « **لا صام ولا أفطر ــ أو ــ لم يصم ولم يفطر** »[1] وهذا محمول على من سَرَدَ الصوم[*] فى الأيام المنهى عن صيامها : فأما إذا أفطر أيام العيدين وأيام التشريق فلا بأس بذلك . فقد رُوِىَ عن هشام بن عروة ــ رحمه الله ــ أن أباه كان يسرد الصوم ، وكانت عائشة ــ رضى الله عنها ــ تسرد . وقال أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ، سرد أبو طلحة الصوم بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أربعين عاماً .

واعلم : أن من رزق فطنة ، علم المقصود بالصوم ، فحمل نفسه قدر ما لا يعجزه عما هو أفضل منه . فقد كان ابن مسعود قليل الصوم ، وكان يقول : إذا صمت ضعفت عن الصلاة ، وأنا أختار الصلاة على الصوم . وكان بعضهم إذا صام ضعف عن قراءة القرآن ، فكان يكثر الفطر حتى يقدر على التلاوة ، وكل إنسان أعلم بحاله وما يصلحه .

● كتاب الحج واسراره وفضائله وآدابه ونحو ذلك

ينبغى لمن أراد الحج أن يبدأ بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، ويرد ما عنده من الودائع . ويستصحب من المال الحلال ما يكفيه لذهابه ورجوعه من غير تقتير ، على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد ، والرفق بالفقراء . ويستصحب ما يصلحه كالسواك ، والمشط ، والمرآة ، والمكحلة . ويتصدق بشىء قبل خروجه ، وإذا اكترى فليظهر للجمال كل ما يريد أن يحمله من قليل وكثير . وقد قال رجل لابن المبارك : احمل لى هذه الرقعة إلى فلان . فقال : حتى استأذن

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الصيام برقم [١٩٦ ، ١٩٧] . (*) سَرَدَ الصوم : تابعه .

الجمال . وينبغى أن يلتمس رفيقاً صالحاً محباً للخير معيناً عليه ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن ضاق صدره صبَّره . وليؤمِّر الرفقاء عليهم أحسنهم خلقاً ، وأرفقهم بالأصحاب ، وإنما احتيج إلى التأمير لأن الآراء تختلف ، فلا ينتظم التدبير ، وعلى الأمير الرفق بالقوم ، والنظر فى مصالحهم ، وأن يجعل نفسه وقاية لهم .

وينبغى للمسافر تطييب الكلام ، وإطعام الطعام ، وإظهار محاسن الأخلاق ، فإن السفر يخرج خفايا الباطن ، ومن كان فى السفر الذى هو مظنة الضجر حسن الخلق ، كان فى الحضر أحسن خلقاً . وقد قيل : إذا أثنى على الرجل معاملوه فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكُّوا فى صلاحه . وينبغى له أن يودع رفقاءه وإخوانه المقيمين ، ويلتمس أدعيتهم ، ويجعل خروجه بكرة يوم الخميس ، وليصل فى منزله ركعتين قبل الخروج منه ويستودع أهله وماله ، ويستعمل الأدعية والأذكار المأثورة عند خروجه من منزله ، وفى ركوبه ونزوله ، وهى مشهورة فى كثير من الكتب فى مناسك الحج ، وكذلك جميع المناسك من الإحرام ، والطواف ، والسعى ، والوقوف بعرفة ، وغير ذلك من أعمال الحج يأتى فيها بما ذكر من الأذكار والدعوات والآداب ، وكل ذلك مستوفى فى كتب الفقه وغيرها ، فليطلب هناك .

● فصل فى الآداب الباطنة والإشارة إلى أسرار الحج

اعلم : أنه لا وصول إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ إلا بالتجرد والانفراد لخدمته ، وقد كان الرهبان ينفردون فى الجبال طلباً للأنس بالله ، فجعل الحج رهبانية لهذه الأمة . فمن الآداب المذكورة ، أن يكون خالياً فى حجه من تجارة تشغل قلبه وتفرق همه ، ليجتمع على طاعة الله ــ تعالى ــ ، وأن يكون أشعث أغبر ، رث الهيئة ، غير مستكثر من الزينة .

وينبغى أن يتجنب ركوب المحمل إلا من عذر ، كمن لا يستمسك على الزاملة[1] فإن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ حج على راحلة وتحته رحل رث . وفى حديث جابر ــ رضى الله عنه ــ ، عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **إن الله ــ عز وجل ــ يباهى بالحاج الملائكة فيقول : انظروا إلى عبادى ، أتونى شعثاً غبراً من كل فج عميق ، أشهدكم أنى قد غفرت لهم** »[2] . وقد شرف الله ــ تعالى ــ بيته وعظمه ، ونصبه مقصداً لعباده ، وجعل ما حوله حرماً له تفخيماً لأمره ، وتعظيماً لشأنه ، وجعل عرفة كالميدان على فنائه .

---

(١) الزَّاملة : بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه وطعامه عليه .

(٢) أخرج الحاكم عن أبى هريرة . قال رسول الله ــ ﷺ ــ إن الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم : انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه [المستدرك ٤٦٥/١] .

واعلم : أن فى كل واحد من أفعال الحج تذكرة للمتذكر ، وعبرة للمعتبر .

فمن ذلك : أن يتذكر بتحصيل الزاد زاد الآخرة من الأعمال ، وليحذر أن تكون أعماله فاسدة من الرياء والسمعة فلا تصحبه ولا تنفعه ، كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر ، فيبقى صاحبه وقت الحاجة متحيراً ، فإذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات ، فليتذكر بذلك خروجه من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال .

ومن ذلك : أن يتذكر وقت إحرامه وتجرده من ثيابه ، إذا لبس المحرم الإحرام لبس كفنه ، وأنه سيلقى ربه على زى مخالف لزى أهل الدنيا ، وإذا لبى فليستحضر بتلبيته إجابة الله ـــ تعالى ـــ إذ قال : ﴿ **وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحَجِّ** ﴾[1] ، وليرج القبول ، وليخش عدم الإجابة ، وكذلك إذا وصل إلى الحرم ينبغى أن يرجو الأمن من العقوبة ، وأن يخشى أن لا يكون من أهل القُرب ، غير أنه ينبغى أن يكون الرجاء غالباً ، لأن الكرم عميم ، وحق الزائر مرعى ، وذمام المستجير لا يضيع . **ومن ذلك** : إذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته فى قلبه ، وشكر الله ـــ تعالى ـــ على تبليغه رتبة الوافدين إليه ، وليستشعر عظمة الطواف به ، فإنه صلاة ، ويعتقد عند استلام الحجر أنه مبايع لله على طاعته ، ويضم إلى ذلك عزيمته على الوفاء بالبيعة ، وليتذكر بالتعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم لجوء المذنب إلى سيده وقرب المحب . وأنشد بعضهم فى ذلك :

ستور بيتك نيل الأمن منك وقد علقتها مستجيراً أيها البارى
وما أظنك لما أن علقت بها خوفاً من النار تدنينى من النار
وها أنا جار بيت أنت قلت لنا حجوا إليه . وقد أوصيت بالجار

ومن ذلك : إذا سعى بين الصفا والمروة ، ينبغى أن يمثلها بكفتى الميزان ، وتردده بينهما فى عرصات القيامة ، أو تردد العبد إلى باب دار الملك ، إظهاراً لخلوص خدمته ، ورجاء الملاحظة بعين رحمته ، وطمعاً فى قضاء حاجته .

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى فيه من ازدحام الخلق ، وارتفاع أصواتهم واختلاف لغاتهم موقف القيامة ، واجتماع الأمم فى ذلك الموطن ، واستشفاعهم . فإذا رميت الجمار : فاقصد بذلك الانقياد للأمر ، وإظهار الرق والعبودية ، ومجرد الامتثال من غير حظ النفس .

وأما المدينة : فإذا لاحت لك فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله لنبيه ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ، وشرع إليها هجرته ، وجعل فيها بيته ، ثم مثل فى نفسك مواضع أقدام رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ عند تردده فيها ، وتصور خشوعه وسكينته ، فإذا قصدت زيارة القبر ، فأحضر قلبك لتعظيمه، والهيبة له ، ومثل صورته الكريمة فى خيالك ، واستحضر عظيم مرتبته فى قلبك ، ثم سلم عليه ، واعلم أنه عالم بحضورك وتسليمك ، كما ورد فى الحديث .

---

(١) الحج : ٢٧ .

● كتاب آداب القرآن الكريم وذكر فضائله

أعظم فضائل القرآن الكريم أنه كلام الله ــ عز وجل ــ، وقد مدحه الله ــ تعالى ــ فى آيات كثيرة ، كقوله ــ تعالى ــ: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾(١) ، ﴿ إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾(٢) . ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾(٣) .

وفى أفراد البخارى ، من حديث عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ، أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** »(٤) . وعن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **إن لله ــ عز وجل ــ أهلين من الناس** » ، قيل : من هم يارسول الله ؟ قال : « **أهل القرآن هم أهل الله وخاصته** » رواه النسائى(٥) . وفى حديث آخر ، أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **لا يعذب الله قلباً وعى القرآن** »(٦) وعن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ، عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها** » صححه الترمذى(٧) . وعن بريدة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول : ما أعرفك ، فيقول : أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر(*) وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنى لك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بما كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها . فهو فى صعود ما كان يقرأ هَذّاً(**) كان أو ترتيلاً** »(٨) .

قال ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ: ينبغى لحامل القران أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون .

---

(١) الأنعام : ٩٢ . (٢) الإسراء : ٩ . (٣) فصلت : ٤٢ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب « الفضائل » رقم ٥٠٢٧ .

(٥) ورواه ابن ماجه فى المقدمة باب ١٦ ، أحمد فى المسند [١٢٧/٣ ، ١٢٨ ، ٢٤٢] .

(٦) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس رقم [٧٧٩٨] [١٥٥/٥] عن عقبة بن عامر ، وفيه ابن لهيعة « ضعيف » .

(٧) رواه الترمذى فى سننه كتاب « ثواب القرآن » باب ١٨ . [٣٦/١١] .

(*) الهاجرة والهجير : نصف النهار عند اشتداد الحر . (**) هَذّاً : بسرعة .

(٨) رواه ابن ماجه فى كتاب « الأدب » باب [٥٢ ، الدارمى فى كتاب فضائل القرآن رقم [٣٢٨٠] باب ثواب القرآن ، المسند [٣٤٨/٥ ، ٣٥٢] .

ولا ينبغى أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخاباً[(١)] ولا حديداً[(٢)]. وقال الفضيل ــ رحمه الله ــ: حامل القرآن حامل راية الإسلام ، لا ينبغى أن يلغو مع من يلغو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلهو مع من يلهو ، تعظيماً لله ــ تعالى ــ ولا ينبغى أن يكون له إلى أحد حاجة ، بل ينبغى أن تكون حوائج الناس إليه . وقال الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ: رأيت رب العزة فى المنام ، فقلت : يارب ، ما أقرب ما يتقرب به إليك المتقربون ؟ فقال : بكلامى ياأحمد ، فقلت : يارب بفهم أو بغير فهم ؟ فقال : بفهم وبغير فهم .

● فصل فى آداب التلاوة

ينبغى لقارىء القرآن أن يكون على وضوء ، مستعملاً للأدب ، مطرقاً غير متربع ولامتكىء ، ولا جالس على هيئة المتكبر . وأفضل الأحوال : أن يقرأ فى الصلاة قائماً ، وأن يكون فى المسجد . فأما مقدار القراءة فقد اختلفت فيها عادات السلف ، فمنهم من كان يختم كل يوم وليلة ختمة ، ومنهم من كان يختم فى اليوم والليلة أكثر من ذلك ، ومنهم من كان يختم فى ثلاث ختمة ، ومنهم من كان يختم فى كل أسبوع ، ومنهم من كان يختم فى كل شهر ، اشتغالاً بالتدبر أو بنشر العلم ، أو بتعليمه ، أو بنوع من التعبد غير القراءة ، أو بغيره من اكتساب الدنيا . وأولى الأمر : ما لا يمنع الإنسان من أشغاله المهمة ، ولا يؤذيه فى بدنه ، ولا يفوته معه الترتيل والفهم . قال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ: لأن أقرأ البقرة وآل عمران ، وأرتلهما وأتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة[(٣)]، ومن وجد خلسة فى وقت ، فليغتنم كثرة القراءة ليفوز بكثرة الثواب ، فقد كان عثمان ــ رضى الله عنه ــ يقرأ القرآن فى ركعة يوتر بها ، وكان الشافعى ــ رحمه الله ــ يختم فى رمضان ستين ختمة . وأما الدوام : فليكن على قدر الإمكان ، كما أشرنا إليه . واستحب بعضهم إذا ختم بالنهار أن يختم فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، وإذا ختم بالليل أن يختم فى ركعتى المغرب أو بعدهما ليستقبل بالختمة أول الليل وأول النهار . وقال ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ: من ختم القرآن فله دعوة مستجابة . وكان أنس ــ رضى الله عنه ــ إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

● فصل فى تحسين الصوت

ويستحب تحسين القراءة ، وإذا لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع ، فأما القراءة بالألحان ، فقد كرهها السلف . ويستحب الإسرار بالقراءة ، وقد جاء فى الحديث . **« فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية »**[(٤)]، إلا

(١) الصخب : شدة الصوت . (٢) الحِدّة : ما يعترى الإنسان من الغضب .

(٣) الهَذْرَمَة : السرعة فى القراءة والكلام ، يُقال هَذْرَم ورْدَه إذا قرأه بسرعة .

(٤) رواه الترمذى فى كتاب ثواب القرآن باب ٢٠ [٤١/١١] وقال حسن غريب ، النسائى فى كتاب =

oberkandil.com

أنه ينبغى أن يسمع نفسه . ولا بأس بالجهر فى بعض الأوقات لمقصود صحيح ، إما لتجويد الحفظ ، أو ليصرف عن نفسه الكسل والنوم ، أو ليوقظ الوسنان(*) . فأما حكم القراءة فى الصلاة ، ومقدار ما يقرأ فى صلاة الفرض ، وموضع الجهر والإسرار فذلك معروف مشهور فى كتب الفقه . ومن كان عنده مصحف ينبغى له أن يقرأ فيه كل يوم آيات يسيرة لئلا يكون مهجوراً .

وينبغى لتالى القرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله ــ تعالى ــ بخلقه فى إيصال معانى كلامه إلى أفهامهم ، وأن يعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر ، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه ، فإن التدبر هو المقصود من القراءة ، وإن لم يحصل التدبر إلا بترداد الآية ، فليرددها ، فقد روى أبو ذر ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قام ليلة بآية يرددها ﴿ إن تُعَذبهُمْ فإنَّهُمْ عبَادُكَ ﴾(١) الآية . وقام تميم الدارى ــ رضى الله عنه ــ بآية وهى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾(٢) وكذلك قام بها الربيع بن خيثم ــ رحمة الله ــ عليه ليلة . وينبغى للتالى أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ، ويتفهم ذلك ، فإذا تلا قوله ــ تعالى ــ: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾(٣) فليعلم عظمته ويتلمح قدرته فى كل ما يراه .

وإذا تلا : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ ﴾(٤) فليتفكر فى نطفة متشابهة الأجزاء ، كيف تنقسم إلى لحم وعظم ، وعرق وعصب ، وأشكال مختلفة من رأس ويد ، ورجل ، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة كالسمع ، والبصر ، والعقل ، وغير ذلك ، فيتأمل هذه العجائب . وإذا تلا أحوال المكذبين فليستشعر الخوف من السطوة إن غفل عن امتثال الأمر . وليتخلى التالى من موانع الفهم ، مثل أن يخيل الشيطان إليه أنه ما حقق تلاوة الحرف ولا أخرجه من مخرجه ، فيكرره التالى ، فيصرف همته عن فهم المعنى . ومن ذلك أن يكون التالى مصراً على ذنب ، أو متصفا بكبر ، أو مبتلى بهوى مطاع ، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه ، فهو كالجرب على المرآة ، يمنع من تجلى الحق . فالقلب مثل المرآة ، والشهوات مثل الصدأ ، ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة ، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة .

= الزكاة ، باب « المسر بالصدقة » [٥/٨٠] . والإمام أحمد فى مسنده [٤/١٥١ ، ١٥٨ ، ٢٠١] . بلفظ : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة » من حديث عقبة بن عامر .

(*) الوَسَنُ والسِّنَة : النُّعَاس وقد وَسِنَ الرجل فهو وَسْنَان .

(١) المائدة : ١١٨ . (٢) الجاثية : ٢١ . (٣) الأنعام : ١ ، ٧٣ ــ التوبة : ٣٦ ــ يونس : ٣ ــ هود : ٧ ــ إبراهيم : ١٩ ، ٣٢ ــ النحل : ٣ ــ الإسراء : ٩٩ ــ الفرقان : ٥٩ (والآيات فى هذا كثيرة) . (٤) الواقعة : ٥٨ .

وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه مقصود بخطاب القرآن ووعيده ، وأن القصص لم يرد بها السمر(*) بل العبر ، فليتنبه لذلك ، فحينئذ يتلو تلاوة عبد كاتبه سيده بمقصود . وليتأمل الكتاب ويعمل بمقتضاه ، فإن مثل العاصي إذا قرأ القرآن وكرره ، كمثل من كرر كتاب الملك وأعرض عن عمارة مملكته وما أمر به في الكتاب فهو مقتصر على دراسته ، مخالف أوامره ، فلو ترك الدراسة مع المخالفة كان أبعد من الاستهزاء واستحقاق المقت(**) . وينبغي أن يتبرأ من حوله وقوته ، وأن لا يلتفت إلى نفسه بعين الرضى والتزكية ، فإن من رأى نفسه بصورة التقصير ، كان ذلك سبب قربه .

● كتاب الأذكار والدعوات وغيرها

اعلم : أنه ليس بعد تلاوة القرآن عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ، ورفع الحوائج بالأدعية الخالصة إليه ـــ تعالى ـــ، ويدل على فضل الذكر قوله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾(١) وقوله : ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِم** ﴾(٢) وقوله : ﴿ **والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ** ﴾(٣) .

وعن النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ أنه قال : « **إن الله ـــ عز وجل ـــ يقول : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه** »(٤) . وفي أفراد مسلم عن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـــ أنه قال : « **لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده** »(٥) وفي ذلك أحاديث كثيرة مذكورة في فضائل الأعمال .

وعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ، عن النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ قال : « **ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا على غير ذكر الله ـــ عز وجل ـــ، إلا تفرقوا عن مثل جيفة الحمار ، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة** »(٦) . وفي حديث آخر . « **لا يجلس قوم مجلساً لا يذكرون الله ـــ عز وجل ـــ ولا يصلون على النبي ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة** »(٧) .

(*) السَّمَر والمُسامرة : الحديث والقصص بالليل . (**) البغض .

(١) البقرة : ١٥٢ . (٢) آل عمران : ١٩١ . (٣) الأحزاب : ٣٥ .

(٤) المستدرك [١/٤٩٦] وصححه ووافقه الذهبي ، المسند [٢/٥٤٠] .

(٥) مسلم في كتاب الذكر برقم ٣٨ ، ٣٩ الترمذي في القرآن باب ١٠ ، ابن ماجه في المقدمة باب ١٧ ، المسند [٢/٢٥٢ ، ٤٠٧ ـــ ٣/٩٢] .

(٦) أبو داود في كتاب الأدب باب ٢٥ ، المسند [٢/٣٨٩ ، ٤٩٤ ، ٥١٥ ، ٥٢٧] .

(٧) رواه الإمام أحمد في المسند [٢/٤٤٦ ، ٤٥٣ ، ٤٦٣ ، ٤٨١ ، ٤٨٤] .

فضيلة الدعاء :

وأما فضيلة الدعاء : فقد روى أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ، عن النبى ــ ﷺ ــ أنه قال : « **ليس شىء أكرم على الله ــ عز وجل ــ من الدعاء** »[1] و « **أشرف العبادة الدعاء** »[2] و « **من لا يسأل الله يغضب عليه** » . وفى حديث آخر : « **سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يُسأل** »[3].

آداب الدعاء :

وللدعاء آداب : من ذلك أن يتحرى الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الشهور ، والجمعة من الأسبوع ، والسحر من الليل . ومن الأوقات الشريفة بين الأذان والإقامة ، وعقيب الصلوات ، وعند نزول الغيث ، وعند القتال فى سبيل الله ، وعند ختم القرآن ، وفى السجود ، وعند الإفطار ، وعند حضور القلب ووجله . وعلى الحقيقة فإن شرف الأوقات يرجع إلى شرف الحالات ، فإن وقت السَّحَر وقت صفاء القلب وفراغه ، وحالة السجود حالة الذل . ومن آداب الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه ثم يمسح بهما وجهه ، وأن يخفض صوته حال الدعاء . ومن آدابه أن يبدأ بذكر الله ــ عز وجل ــ، ثم يصلى على النبى ــ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ــ، ولا يتكلف السجع فى الدعاء . ومن آدابه وهو الأدب الباطن ــ وهو الأصل فى الإجابة ــ التوبة ورد المظالم .

● فصل فى الأوراد وفضلها وتوزيع العبادات على مقادير الأوقات

اعلم : أنه إذا حصلت المعرفة لله ــ سبحانه ــ والتصديق بوعده ، والعلم بقصر العمر ، وجب ترك التقصير فى هذا العمر القصير ، والنفس متى وقفت على فن واحد حصل لها ملل ، فمن التلطف نقلها من فن إلى فن ، وقد قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وأَصِيلاً ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً** ﴾[4] فهذا ونحوه مما ذكر من الآيات فى ذلك يدل على أن الطريق إلى الله ــ تعالى ــ مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على الدوام ، وقال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً** ﴾[5] أى يخلف أحدهما الآخر ليتدارك فى أحدهما ما فات فى الآخر .

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات باب [١] وقال : حسن غريب،ابن ماجه فى « الدعاء » باب [١] ، المسند [٢/٣٦٢] .

(٢) البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة ، ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة الحسن .

(٣) أخرجه الترمذى فى كتاب « الدعوات » [١٣/٧٧] . وقال الترمذى : وقد روى حماد بن واقد هذا الحديث وقد تحولف فى روايته ، وحماد بن واقد هذا هو الصفار ليس بالحافظ وهو عندنا شيخ بصرى .

(٤) الإنسان ٢٥ ــ ٢٦ . (٥) الفرقان : ٦٢ .

● بيان عدد أوراد الليل والنهار وترتيبها

أوراد النهار سبعة ، وأوراد الليل ستة ، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به .

أولاً : ذكر أوراد النهار :

● **الورد الأول من أوراد النهار** : ما بين طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس ، وهو وقت شريف ، وقد أقسم الله ــ تعالى ــ به فقال: ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾[1] فينبغى للمريد إذا انتبه من النوم أن يذكر الله ــ سبحانه وتعالى ــ فيقول : « **الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** » . روى ذلك عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ من أفراد البخارى[2]. وفى أفراد مسلم ، من حديث ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إذا أمسى قال : « **أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر** »[3]. وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : « **أصبحنا وأصبح الملك لله ...** » إلى آخره ، ويقول : « **بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم** » ثلاث مرات ، « **رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ نبياً ورسولاً** »[4]. فإذا صلى الفجر قال وهو ثان رجله قبل أن يتكلم : « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير** » عشر مرات .[5] . ويذكر سيد الاستغفار : « **اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ،وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** »[6].

ويقول : « **أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين** »[7]. ويدعو : « **اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها**

(١) التكوير : ١٨ . (٢) البخارى فى الدعوات رقم [٦٣٢٥] .

(٣) صحيح مسلم فى الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل رقم [٧٤ ــ ٧٦] .

(٤) الترمذى فى الدعوات باب ما جاء فى الدعاء [٣٣٨٨] ، أبو داود فى الأدب [٥٠٨٨] ، ابن ماجه فى الدعاء [٣٨٦٩] ، الحاكم فى المستدرك [٥١٤/١] ، صحيح الجامع [٥٧٤٥] .

(٥) انظر البخارى فى كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة ، مسلم فى كتاب « المساجد » ، رقم ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٦) البخارى فى كتاب الدعوات باب « فضل الاستغفار » وباب ما يقول إذا أصبح (٧) المسند [٤٠٧/٣] .

معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر »[1] . ويدعو بدعاء أبى الدرداء : « اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علمًا . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم »[2] . فهذه الأدعية لا يستغنى المريد عن حفظها .

وينبغى له قبل خروجه إلى صلاة الفجر أن يصلى السنة فى منزله ثم يخرج متوجهاً إلى المسجد ويقول : « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا ، فإنى لم أخرج أشراً ولا بطراً[*] ، ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »[3] . فإذا دخل المسجد فليقل ما روى مسلم فى « صحيحه » أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثم ليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك » ، وإذا خرج فليقل : « اللهم إنى أسألك من فضلك »[4] ، ثم يطلب الصف الأول منتظراً للجماعة داعياً بنحو ما تقدم من الأذكار والأدعية .

فإذا صلى الفجر استحب أن يمكث فى مكانه إلى طلوع الشمس . فقد روى أنس ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « من صلى الفجر فى جماعة ، ثم قعد يذكر الله ــ تعالى حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة »[5] . وليكن وظائف وقته أربعاً : الدعاء ، والذكر ، والقراءة ، والفكر . وليأت بما أمكنه ، وليتفكر فى قطع القواطع . وشغل الشواغل عن الخير ليؤدى وظائف يومه ، وليتفكر فى نعم الله ــ تعالى ــ ليتوفر شكره .

* ***الورد الثانى*** : ما بين طلوع الشمس إلى الضحى ، وذلك بمضى ثلاث ساعات من النهار ، إذا فرض النهار اثنتى عشرة ساعة ، وهو الربع ، وهذا وقت شريف ، وفيه وظيفتان : **إحداهما** : صلاة الضحى . **والثانية** : ما يتعلق بالناس من عيادة مريض ، أو تشييع جنازة ،

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب « الذكر والدعاء » حديث [٧١] .

(٢) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ، وهو ضعيف لوجود الأغلب بن تميم .

(*) الأشَر : كفر النعمة ، البَطَر : الطغيان مع النعمة . (٣) المسند [٣/٢١] وهو حديث ضعيف .

(٤) رواه مسلم فى صلاة المسافرين رقم [٦٨] بدون لفظ فليسلم على النبى ، أبو داود فى كتاب « الصلاة باب ما يقول الرجل عند دخوله » [٤٦٥] ، صحيح الجامع [٥١٥] .

(٥) رواه الترمذى فى كتاب « الدعوات » باب [٥٩] وقال : حديث حسن .

أو حضور مجلس علم ، أو قضاء حاجة مسلم . وإن لم يفعل شيئاً من ذلك تشاغل بالقراءة والذكر .

• ***الورد الثالث*** : من وقت الضحى إلى الزوال ، والوظيفة فى هذا الوقت ، الأقسام الأربعة ، وزيادة أمرين : **أحدهما** : الاشتغال بالكسب والمعاش ، وحضور السوق ، فإن كان تاجراً فليتجر بصدق وأمانة ، وإن كان صاحب صنعة ،فليصنع بنصيحة وشفقة ، ولا ينس ذكر الله ــ تعالى ــ فى جميع أشغاله ، وليقنع بالقليل . **والثانى** : القيلولة ، فإنها مما تعين على قيام الليل ، كما يعين السحور على صيام النهار ، فإن نام فليجتهد فى الانتباه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة قبل دخول الوقت .

واعلم : أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فالاعتدال أن ينام من ذلك الثلث ، وهو ثمان ساعات ، فمن نام أقل من ذلك لم يأمن اضطراب بدنه ، ومن نام أكثر من ذلك كثر كسله ، فإذا نام أكثر من ذلك فى الليل فلا وجه لنومه فى النهار ، بل من نقص منه استوفى ما نقص فى النهار .

• ***الورد الرابع*** : ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر ، وهو أقصر أوراد النهار وأفضلها ، فينبغى له فى هذا الوقت إذا أذن المؤذن أن يجيبه بمثل قوله، ثم يقوم فيصلى أربع ركعات ، ويستحب أن يطيلهن ، فإن أبواب السماء تفتح حينئذ ، ثم يصلى الظهر وسنتها ، ثم يتطوع بعدها بأربع .

• ***الورد الخامس*** : ما بعد ذلك إلى العصر ، فيستحب له فى هذا الوقت الاشتغال بالذكر ، والصلاة ، وفنون الخير ، ومن أفضل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة .

• ***الورد السادس*** : إذا دخل وقت العصر إلى أن تصفر الشمس ، وليس فى هذا الوقت صلاة سوى أربع ركعات بين الأذانين ، ثم فرض العصر ، ثم يتشاغل بالأقسام الأربعة التى سبق ذكرها فى الورد الأول ، والأفضل فيه تلاوة القرآن بالتدبر والتفهم .

• ***الورد السابع*** : من اصفرار الشمس إلى أن تغرب ، وهو وقت شريف . قال الحسن البصرى ــ رحمه الله ــ: كانوا أشد تعظيماً للعشى من أول النهار ، فيستحب فى هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة . وبالمغرب تنتهى أوراد النهار فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه ، فقد انقضت من طريقه مرحلة . وليعلم أن العمر أيام تنقضى جملتها بانقضاء آحادها .

قال الحسن : يـٰابن آدم ، إنما أنت أيام ، إذا مضى يومك مضى بعضك . وليتفكر هل ساوى يومه أمسه ، فإن رأى أنه قد توفر على الخير فى نهاره ، فليشكر الله ــ سبحانه وتعالى ــ على التوفيق ، فإن تكن الأخرى ، فليتب وليعزم على تلافى ما سبق من التفريط فى الليل ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وليشكر الله ــ تعالى ــ على صحة جسمه ، وبقاء

بقية من عمره يمكن فيها استدراك التقصير ، وقد كان جماعة من السلف يستحبون أن لا ينقضي يوم إلا عن صدقة ، ويجتهدون فيما أمكن من كل خير .

● ذكر أوراد الليل

• **الورد الأول** : إذا غربت الشمس إلى وقت العشاء ، فإذا غربت صلى المغرب واشتغل بإحياء ما بين العشاءين ، فقد روى عن أنس ــ رضى الله عنه ــ فى قوله ــ تعالى ــ: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[1] . أن هذه الآية نزلت فى أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، كانوا يصلون بين المغرب والعشاء . وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **من صلى بعد المغرب ست ركعات ولم يتكلم فيما بينهن بسوء ، عدلن له بعبادة اثنتى عشرة سنة** » . رواه الترمذى[2].

• **الورد الثانى** : من غيبوبة الشفق الأحمر إلى وقت النوم ، يستحب أن يصلى بين الأذانين ما أمكنه ، وليكن فى قراءته : ﴿ **الٓمٓ . تَنزِيلُ الْكِتَابِ** ﴾[3]و ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾[4] . فقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لا ينام حتى يقرأهما . وفى حديث آخر ، عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة** »[5] .

• **الورد الثالث** : الوتر قبل النوم ، إلا من كان عادته القيام بالليل ، فإن تأخيره فى حقه أفضل ، قالت عائشة ــ رضى الله عنها ــ: من كل الليل قد أوتر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، من أول الليل ، وأوسطه ، وآخره ، فانتهى وتره إلى السحر . متفق عليه ، ثم ليقل بعد الوتر : « **سبحان الملك القدوس** » ثلاث مرات .

• **الورد الرابع** : النوم ، وإنما عددناه من الأوراد ، لأنه إذا روعيت آدابه وحسن المقصود به احتسب عبادة . وقد قال معاذ ــ رضى الله عنه ــ : إنى لأحتسب فى نومتى كما أحتسب فى قومتى . فمن آداب النوم : أن ينام على طهارة ، لما روت عائشة ــ رضى الله عنها ــ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان إذا أراد أن ينام يتوضأ وضوءه للصلاة . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضى الله عنهما ــ: إن الأرواح يعرج بها فى منامها إلى السماء فتؤمر بالسجود عند العرش ، فما كان منها طاهراً سجد عند العرش ، وما كان ليس بطاهر سجد بعيداً عن العرش . ومن آدابه أن يتوب قبل نومه ، لأنه ينبغى لمن طهر ظاهره أن يطهر باطنه ، لأنه ربما مات فى نومه .

---

(١) السجدة : ١٦ . (٢) رواه الترمذى وقال حديث غريب ضعيف « كتاب الصلاة » [٢/٢٢٥] .
(٣) السجدة : ١ ، ٢ . (٤) الملك : ١ .
(٥) ضعيف ، ضعيف الجامع [٥٧٨٥] ، السلسلة الضعيفة للألبانى [٢٨٩] .

ومنها : أن يزيل كل غش فى قلبه لمسلم ، ولا ينوى ظلمه ، ولا يعزم على خطيئة إذا استيقظ . **ومنها** : أن لا يبيت من له شيء يوصى به إلا ووصيته مكتوبة عنده ، لأن فى « الصحيحين » من حديث ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **ما حق امرىء مسلم له شيء يوصى فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده** »[1] .

وينبغى له أيضاً أن لا يبالغ فى تمهيد الفراش متنعماً بذلك ، فإنه يزيد فى النوم ، فإن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثنى له فراشه فقال : « **منعتنى وطأته صلاتى الليلة** » . وينبغى أن لا ينام حتى يغلبه النوم ، فقد كان السلف لا ينامون إلا غلبة . ومن آدابه أن يستقبل القبلة وأن يدعو بما ورد من الأحاديث فى ذلك ، أن ينام على جنبه الأيمن ، فمما جاء فى ذلك ما روى أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ، عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدرى ما حدث بعده** »[2]

فإذا وضع جنبه فليقل : **باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** » أخرجاه فى « الصحيحين »[3] . وفى « الصحيحين » أيضاً ، من حديث عائشة أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة ، جمع كفيه ثم نفخ فيهما وقرأ فيهما : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** ﴾و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ . ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات[4].

وفيهما من حديث البراء بن عازب ــ رضى الله عنه ــ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : « **إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت ، فإنك إن مت فى ليلتك مت على**

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب « الوصايا » باب ١ رقم [٢٧٣٨] ، ورواه مسلم فى كتاب الوصايا برقم ١ ، ٤ . (٢) رواه البخارى فى كتاب الدعوات باب ١٣ رقم ٦٣٢٠ ، مسلم فى كتاب [الذكر رقم ٦١] ، المسند [٢/٢٣٨ ، ٢٩٥ ، ٤٢٢ ، ٤٣٢] .

(٣) رواه البخارى فى « كتاب التوحيد » باب « السؤال بأسماء الله ــ تعالى ــ» برقم [٦٣٢٠] ، كتاب الدعوات باب [١٢] رقم [٧٣٩٣] ، رواه أحمد فى المسند [٢/٧٩ ، ٢٤٦ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥] .

(٤) البخارى فى « كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات » ، مسلم فى « الذكر والدعاء » باب ما يقول عند النوم [٥٩] .

الفطرة ، وإن أصبحت أصبت خيراً »[1] . وعن على ــ رضى الله عنه ــ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال له ولفاطمة : **« إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما ، فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين ، واحمداه ثلاثاً وثلاثين ، وكبراه أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم »** متفق عليه[2] . وحديث أبى هريرة فى حفظ زكاة رمضان مشهور ، وفيه أن شيطاناً قال له : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان . فأخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فقال : **« أما إنه قد صدقك وهو كذوب »**[3] . وفى أفراد مسلم أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كان إذا أوى إلى فراشه قال : **« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ولا مُؤوى »**[4] . فإذا استيقظ للتهجد ، فليدع بدعاء رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: **« اللهم ربنا لك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت »** وفى رواية : **« وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت »** متفق عليه[5] . وليجتهد أن يكون آخر كلامه عند النوم ذكر الله ــ تعالى ــ، وأول ما يجرى على لسانه عند التيقظ ذكر الله ــ تعالى ــ، فهاتان علامتان على الإيمان .

• ***الورد الخامس من أوراد الليل*** : يدخل بمضى النصف الأول إلى أن يبقى من الليل سدسه ، وذلك وقت شريف . قال أبو ذر ــ رضى الله عنه ــ: سألت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: أى صلاة الليل أفضل ؟ فقال : **« نصف الليل أو جوف الليل ، وقليل فاعله »** . وروى أن داود ــ عليه السلام ــ قال : **« يارب ، أية ساعة أقوم لك ؟ »** فأوحى الله ــ تعالى ــ إليه : **« يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره ، ولكن قم فى شطر الليل حتى تخلو بى وأخلو بك ، وارفع إلىّ حوائجك »** .

فإذا قام إلى التهجد ، قرأ العشر آيات من آخرسورة ﴿ آل عمران ﴾ ، كما روى فى « الصحيحين » أن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فعل ذلك ، وليدع بما سبق من

---

(١) البخارى فى الوضوء باب [٧٥] رقم [٢٤٧] ، مسلم فى الذكر [٥٦ ، ٥٧] .
(٢) البخارى فى فضائل الصحابة باب ٩ رقم [٣٧٠٥] مسلم فى الذكر رقم [٨٠] .
(٣) البخارى فى كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلاً [٥٦٨/٤] ، بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده [٣٨٧/٦] ، فضائل القرآن باب ١٠ [٦٧٢/٨] . (٤) مسلم فى الذكر رقم ٦٤ .
(٥) البخارى فى كتاب التهجد باب التهجد بالليل برقم ١١٢٠ ، رواه مسلم فى صلاة المسافرين برقم ١٩٩ ، كتاب الذكر برقم ٦٨ .

دعائه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عند قيامه من الليل ، ثم يستفتح صلاته بركعتين خفيفتين ، لما روى أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ، عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **إذا قام أحدكم يصلى بالليل ، فليبدأ بركعتين خفيفتين** » رواه مسلم[1] ، ثم يصلى مثنى مثنى ، وأكثر ما روى عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر ، وأقلهن سبع .

• ***الورد السادس من أوراد الليل*** : السدس الأخير وهو وقت السحر ، قال الله ــ تعالى ــ : ﴿ **وبِالأَسْحَارِ هُم يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[2] . وفى الحديث : إن قراءة الرجل آخر الليل محضورة . وجاء طاوس إلى رجل وقت السحر فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحداً ينام وقت السحر . فإذا فرغ المريد من صلاة السحر ، فليستغفر الله ــ عز وجل ــ، وروى عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ أنه كان يفعل ذلك .

● فصل فى اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال

اعلم : أن السالك لطريق الآخرة لا يخلو من ستة أحوال : إما أن يكون عابداً ، أو عالماً ، أو متعلماً ، أو والياً ، أو محترفاً ، أو مستغرقاً بمحبة الله ــ عز وجل ــ مشغولاً به عن غيره .

الأول ــ العابد : وهو المنقطع عن الأشغال كلها إلى التعبد ، فهذا يستعمل ما ذكرنا من الأوراد ، وقد تختلف وظائفه ، فقد كانت أحوال المتعبدين من السلف مختلفة ، فمنهم من كان يغلب على حاله التلاوة ، حتى يختم فى يوم ختمة ، أو ختمتين ، أو ثلاثاً ، وكان فيهم من يكثر التسبيح ، ومنهم من يكثر الصلاة ، ومنهم من يكثر الطواف بالبيت . فإن قيل : فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد ؟ فاعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع ، ولكن ربما عسرت المواظبة على ذلك ، والأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ، ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره ، فلينظر المريد ما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه ، فإذا أحس بملل انتقل عنه إلى غيره . قال أبو سليمان الدارانى : فإذا وجدت قلبك فى القيام فلا تركع ، وإذا وجدته فى الركوع فلا ترفع .

الثانى ــ العالم : الذى ينتفع الناس بعلمه فى فتوى ، أو تدريس ، أو تصنيف ، أو تذكير ، فترتيبه فى الأوراد يخالف ترتيب العابد فإنه يحتاج إلى المطالعة فى الكتب ، والتصنيف والإفادة ، فإن استغرق الأوقات فى ذلك ، فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ، وإنما نعنى بالعلم المقدم على العبادة الذى يرغب فى الآخرة ، ويعين على سلوك طريقها ، والأولى بالعالم أيضاً أن يقسم أوقاته ، لأن استغراق الأوقات فى العلم لا تصبر عليه النفس ، فينبغى أن يخص

---

(١) مسلم فى كتاب صلاة المسافرين برقم [٨٧ ، ٨٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٨٢ ، ١٩٥] .

(٢) الذاريات : ١٨ .

ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد على ما ذكرنا ، ثم ما بعد طلوع الشمس إلى الضحى فى الإفادة والتعليم ، فإن لم يكن عنده من يتعلم ، صرف ذلك الزمان إلى التفكير فى العلوم ، فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ، ثم من ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة ، لا يترك ذلك إلا فى وقت أكل ، أو طهارة ، أو مكتوبة ، أو قيلولة ، ومن العصر إلى اصفرار الشمس بسماع ما يقرأ عليه من تفسير ، أو حديث ، أو علم نافع ، ومن الاصفرار إلى الغروب يتشغل بالاستغفار والتسبيح ، فيكون ورده الأول من عمل اللسان ، والثانى فى عمل القلب بالتفكير ، والثالث فى عمل العين واليد والمطالعة والنسخ ، والرابع بعد العصر فى عمل السمع لتتروح العين واليد ، فإن المطالعة والنسخ بعد العصر ربما أضرا بالعين .

وأما الليل : فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعى ــ رحمه الله ــ ، فإنه كان يقسمه ثلاثة أجزاء : الثلث الأول لكتابة العلم ، والثانى للصلاة ، والثالث للنوم ، فأما الصيف ، فربما لا يحتمل ذلك ، إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار .

الثالث ــ حال المتعلم : فإن التعلم أفضل من التشاغل بالأذكار والنوافل ، وحكم المتعلم حكم العالم فى ترتيب الأوراد ، لكنه يشتغل بالاستفادة حين يشتغل العالم بالإفادة ، وبالتعليق والنسخ حين يشتغل العالم بالتصنيف ، فإن كان من العوام كان حضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ أفضل من اشتغاله بالأوراد المتطوع بها .

الرابع ــ الوالى : مثل الإمام ، والقاضى ، أو المتولى للنظر فى أمور المسلمين ، فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة ، لأنه عبادة يتعدى نفعها ، فينبغى أن يقتصر فى النهار على المكتوبات ، ثم يستفرغ باقى الزمان فى ذلك ، ويقنع بأوراد الليل .

الخامس ــ المحترف : وهو محتاج إلى الكسب له أو لعياله ، فليس له أن يستغرق الزمان فى التعبد ، بل يجتهد فى الكسب مع دوام الذكر ، فإذا حصل له ما يكفيه عاود الأوراد .

السادس ــ المستغرق بمحبة الله ــ سبحانه ــ : فهذا ورده بعد المكتوبات حضور القلب مع الله ــ تعالى ــ وهو يحركه إلى ما يريد من ورده . وينبغى أن يداوم على الأوراد ، لقول النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **أحب العمل إلى الله ــ تعالى ــ أدومه ــ وإن قل** » . وكان النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عمله ديمة .

باب فى قيام الليل وفضله والأسباب الميسرة لقيامه ونحو ذلك

قال الله ــ تعالى ــ: ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** ﴾[1] . وقال النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قربة إلى**

(١) السجدة : ١٦ .

ربكم ، ومغفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم »[1] وفى فضله أحاديث كثيرة . وقال الحسن البصرى ــ رحمه الله ــ: لم أجد من العبادة شيئاً أشد من الصلاة فى جوف الليل ، فقيل له : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً ؟ فقال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره .

● فصل فى الأسباب الميسرة لقيام الليل

اعلم : أن قيام الليل صعب إلا من وُفِّق للقيام بشروطه الميسرة له . فمن الأسباب ظاهر ، ومنها باطن .

ـ **فأما الظاهر** : فأن لا يكثر الأكل ، كان بعضهم يقول : يامعشر المريدين ، لاتأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتناموا كثيراً ، فتخسروا كثيراً . **ومنها** : أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة . **ومنها** : أن لا يترك القيلولة بالنهار ، فإنها تعين على قيام الليل . **ومنها** : أن يجتنب الأوزار . **قال الثورى** : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته .

ـ **وأما الميسرات الباطنة** : فمنها سلامة القلب للمسلمين ، وخلوه من البدع ، وإعراضه عن فضول الدنيا . **ومنها** : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل . **ومنها** : أن يعرف فضل قيام الليل . ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله ــ تعالى ــ، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه ، وأنه حاضره ومشاهده ، فتحمله المناجاة على طول القيام . قال أبو سليمان ــ رحمه الله ــ: أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا . وفى « صحيح مسلم » عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ قال : **« إن فى الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه إياه ، وذلك كل ليلة »**[2] .

□ ***مراتب إحياء الليل*** : *وإحياء الليل مراتب* :

أحدها : أن يحيى الليل كله ، روى ذلك عن جماعة من السلف . **الثانية** : أن يقوم نصف الليل ، وهو مروى أيضاً عن جماعة من السلف وأحسن الطريق فى هذا أن ينام الثلث الأول من الليل ، والسدس الأخير منه . **المرتبة الثالثة** : أن يقوم ثلث الليل ، فينبغى أن ينام النصف الأول ، والسدس الأخير ، وهو قيام داود ــ عليه السلام ــ. ففى « الصحيحين » : **« أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه »**[3] ونوم

---

(١) ذكره السيوطى فى جمع الجوامع [٥٨١/١] وعزاه للطبرانى فى « الأوسط » عن أبى أمامة . وعزاه الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء [٣٥٩/١] للترمذى من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ، وللطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث أبى أمامة بسند حسن ، وقال الترمذى : إنه أصح . قلت : والحديث فى المستدرك [٣٠٨/١] وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب « صلاة المسافرين » برقم [١٦٦ ، ١٦٧] .

(٣) ورواه ابن ماجه فى كتاب الصيام باب [٣١] رقم [١٧١٢] .

آخر الليل حسن ، لأنه يذهب بآثار النعاس من الوجه بالغداة ، ويقلل صفرته .
المرتبة الرابعة :أن يقوم سدس الليل أو خمسه ، والأفضل من ذلك ما كان فى النصف الأخير ، وبعضهم يقول : أفضله السدس الأخير . **المرتبة الخامسة** : أن لا يراعى التقدير ، فإن مراعاة ذلك صعب ثم فيما يفعله طريقان :

أحدهما : أن يقوم أول الليل إلى أن يغلبه النوم فينام ، فإذا انتبه قام ، فإذا غلبه النوم نام ، وهذا من أشد المكابدة ، وهو طريق جماعة من السلف . وفى « الصحيحين » من حديث أنس ــ رضى الله عنه ــ: ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مصليًا من الليل إلا رأيناه ، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه . وكان عمر ــ رضى الله عنه ــ يصلى من الليل ما شاء الله ، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله ، فيقول : الصلاة الصلاة .

وقال الضحاك : أدركت أقواماً يستحيُون من الله فى سواد هذا الليل من طول الضجعة .
الطريق الثانى : أن ينام أول الليل ، فإذا أخذ حظه من النوم ، وانتبه ، قام الباقى . قال سفيان الثورى : إنما هى أول نومة ، فإذا انتبهت لم أقلها . يعنى : لم ينم .

المرتبة السادسة : أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين ، فقد روينا عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنه قال : « **صلوا من الليل ، صلوا أربعاً ، صلوا ركعتين** »[1] .. الحديث . وفى « سنن أبى داود » قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: « **من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا جميعاً ركعتين ، كتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات** »[2] . وكان طلحة بن مصرف يأمر أهله بقيام الليل ، ويقول : ركعتين ، فإن الصلاة فى جوف الليل تحط الأوزار . فهذه طرق قسمة الليل ، فليتخير المريد لنفسه ما يسهل عليه ، فإن صعب القيام عليه فى وسط الليل ،فلاينبغى أن يخل بإحياء ما بين العشاءين وورد السّحر ، ليكون قائماً فى الطرفين ، وهذه مرتبة سابعة .

● فصل فيمن صعبت عليه الطهارة فى الليل

فأما من صعبت عليه الطهارة فى الليل ، وثقلت عليه الصلاة ، فليجلس مستقبل القبلة ، وليذكر الله ــ تعالى ــ، وليدع مهما قدر . فإن لم يجلس فليدع وهو مضطجع ، ومن كان له ورد فغلبه النوم وفاته ، فليأت به بعد صلاة الضحى . فقد ورد ذلك فى الحديث . وليحذر من له عادة بقيام الليل أن يتركها ، ففى « الصحيحين » أن رسول الله ــ صلى

---

(١) ذكره السيوطى فى جمع الجوامع [٥٥٩/١] وعزاه لابن أبى شيبة وابن نصر والبيهقى فى شعب الإيمان وقال : حديث مُرْسل . (٢) سنن أبى داود كتاب الصلاة رقم [١٣٠٨] .

الله عليه وآله وسلم ــ قال لعبد الله بن عمرو : « لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل »[1] .

● فصل فى بيان الليالى والأيام الفاضلة

أما الليالى المخصوصات بمزيد الفضل التى يستحب إحياؤها ، فخمس عشرة ليلة ولا ينبغى للمريد أن يغفل عنهن ، لأنه إذا غفل التاجر عن موسم الربح فمتى يربح ؟! فمن هذه الليالى ست فى رمضان : الليلة السابعة عشرة ، وهى التى كانت صبيحتها وقعة بدر ، والخمس الباقية هن أوتار العشر ، إذ فيهن تطلب ليلة القدر وأما التسع الأخر : فأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف منه[2] ، وليلة سبع وعشرين منه فإنها ليلة المعراج ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة عرفة ، وليلتا العيدين ، وقد ورد صلوات لبعض هذه الليالى وليس فيها ما يثبت[3] .

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يوماً : يوم عرفة ، ويوم عاشوراء، ويوم سبع وعشرين من رجب ، وهو أول يوم هبط فيه جبريل على النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ويوم سبعة عشرة من رمضان كان فيه وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ، ويوم الجمعة ، ويوما العيدين ، والأيام المعلومات وهى عشر ذى الحجة ، والأيام المعدودات وهى أيام التشريق . ومن فواضل الأيام فى الأسبوع : يوم الاثنين ، والخميس ، وأيام البيض . وفيها فضل كبير مذكور فى فضائل الصوم .

آخر كتاب الأوراد ، وهو آخر ربع العبادات

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التهجد باب ١٩ رقم [١١٥٢] ، ورواه مسلم فى كتاب الصيام برقم ١٨٥ .

(٢) لم يرد فى صيام أو قيام شهر رجب أو ليلة مخصوصة منه شىء ثابت عنه ــ ﷺ ــ، انظر فى ذلك كتاب « تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب » لابن حجر ، وقد أصدرته مكتبة القرآن بتحقيقنا .

(٣) لم يثبت شىء فى فضل إحياء هذه الليالى ، إلا فى فضل العشر الأواخر من رمضان فقط وذلك من رواية البخارى : أن رسول الله ــ ﷺ ــ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ــ تعالى ــ، ثم اعتكف أزواجه من بعده » . [الحديث رقم ٢٠٢٦ من كتاب الاعتكاف باب ١] .